جامعة عبد الرحمان ميرة – بجاية

كلية الآداب و اللغات

قسم اللغة و الأدب العربي

عنوان المذكرة

الرسائل الأدبية وقوانينها في كتاب "صبح الأعشى" للقلقشندي

مذكرة مقدمة لاستكمال شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص:أدب عربي قديم

إعداد الطالبتان:

- ابتسام خرفي
- ديهية حميطوش

إشراف الأستاذ:

محمد فلاق

السنة الدراسية: 2018/2017

شكر وعرفان:

الحمد لله ربّ العالمين، حمدا يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه والصّلاة والسّلام على سيّد المرسلين وإمام المتّقين سيّدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

فالشّكر لله أوّلا على توفيقه وعونه لنا على إتمام هذا البحث، ثم وفاء منّا واعترافا بالفضل وإقرارًا بالجميل لأصحابه نتقدم بخالص الشّكر والتّقدير والعرفان إلى الأستاذ المشرف الّذي قبل الإشراف على هذا البحث، والّذي وجدنا فيه الجديّة والخبرة والاهتمام والدقّة في متابعة البحث، وقد استفدنا من توجيهاته المنهجية وملاحظاته وأفكاره

كما نتقدّم بأسمى معاني الشّكر و العرفان إلى كلّ أعضاء لجنة المناقشة الموقرة على قبولهم مناقشة هذه المذكّرة، وحضورهم للمشاركة في إثراء جوانبها.

كما نشكر كلّ من قدّم لنا يدّ العون من قريب أو بعيد.

الإهداء :

إلى الوالدين الكريمين حفظهما اللّه

إلى إخوتي: يذير سلاس مياس

إلى العائلة الكريمة

إلى خطيبي و عائلته

إلى صديقاتي

إلى كلّ من كان لنا سندا وعونا

أهدي ثمرة جهدي هذا

ديهية

الإهداء

بسم الله و الحمد لله و ما توفيقي إلا بالله عليه توكلت و إليه أنيب ، و الصلاة و السلام على رسول الله أهدي ثمرة دراستي و جهدي إلى التي ربت و تعبت و سهرت اللّيالي لأجل راحتي إلى أغلى من في الوجود بعد الله و رسوله ، إلى أعذب ما تحدثه البشرية ، و أجمل مناداة ، كلمة صغيرة مملوءة بالأمل و الحب و العطف ، و كل ما في القلب البشري من الدفء و الحلاوة و العذوبة

كانت أمي أجمل شيء في حياتي .... فصارت سر سعادتي

و أساس وجودي...و الآن أصبحت هي حياتي... " أمي الحبيبة"

إلى الذي جعل مني امرأة إلى الذي كرس حياته و ماله في تربيتي و تعليمي " أبي الغالي"

فأسال الله لهما طول العمر كي أرد و لو جزءا بسيطا من جميلهما

و إلى أختي و إخواني الذين تربيت معهم و كبرت بينهم ، و إلى كل عائلة خرفي صغيرها و كبيرها

و إلى من تقاسمت معها إنجاز هذا العمل المتواضع.

إلى كل من ساعدني في مشواري الدّراسي ، لله أقدم لهم الشكر و الامتنان كل باسمه..

إبتسام

مقدمة:

اتّخذ الإنسان الكتابة منذ أن عرفها وسيلة للتّدوين والتّوثيق والمراسلات، وقد وُجِدت المراسلات في مختلف العصور، وتُعدّ من فنون الكتابة المهمّة التّي تحظى بدور مُهم في تواصُل النّاس وحِفظ حُقوقهم والتّعبير عن حوائجهم.

ولقد عرف الأدب العربي كغيره من الآداب فنّ الترسّل، وذلك لِحاجة الإنسان إلى التّواصل والاجتماع، فظهر في سبيل ذلك مجموعة من الأدباء العرب الذّين اهتمّوا بهذا الفنّ، مثل: الجاحظ وبديع الزّمان الهمذاني وابن العميد، والقلقشندى وغيرهم مِمّن كان لهم إسهام في هذا النّمط الأدبي الذّي يتماشى مع رغبتهم الفنِيّة وغايتهم الأدبية.

اعتنى القلقشندي في كتاب "صبح الأعشى في صناعة الإنشاء" بالكتابة والتّواصُل مع الآخر، لذا اهتمّ بالرّسائل الأدبية، وهو يُعدُّ من بين الأدباء الذّين برعُوا في هذا المجال ،حيث استطاع تحديد ملامح فنّ الترسُّل، فكان له باع طويل في هذا النّمط الأدبي من خلال هذا الكتاب، وهذا ما يجعلنا نطرح عِدّة تساؤلات:

من هو القلقشندي؟ وما صِلته بصنعة الكتابة و الرّسائِل؟

ما المقصود بالرّسائل الأدبية وفق منظور القلقشندي؟ وفيما تتمثّل قوانين الكتابة عنده؟

وإلى أيّ مدى وُفِّق القلقشندي في تصوير المكانة التّي حظِيت بها الرّسائل؟

ونحن إذن نختار هذا الموضوع فذلك رغبة مِنّا في توضيح جانب غير مدروس من كِتابات القلقشندي وهو الرّسائل الأدبية في كتابه "صبح الأعشى" ، لِذا اتّبعنا المنهج الوصفي التّحليلي، للكشف عن مضامين الكِتاب وقضاياه المُتعلّقة بهذا الجانب.

لقد فرضت الإشكالية المطروحة الخُطّة المُناسِبة للبحث، فقسّمناه إلى: مدخل، مقدمة ،فصلين وخاتمة .

خصّصنا المدخل لعرض نبذة من سيرة القلقشندي والتّعريف به، ثمّ تحدّثنا عن الكتاب وخطبته وقيمته. وتناولنا بعد ذلك في الفصل الأوّل الرّسائل الأدبية، حيث استعرضنا هذا الفنّ بمفهومه اللّغوي والاصطلاحي، ثمّ أشرنا إلى أنواعه، وتطوّره ونشأته، وما يتطلّبه من شروط في الكاتب، كما تعرّضنا فيه إلى عناصر الرّسالة الأدبية. أمّا الفصل الثّاني فتطرّقنا فيه إلى أنواع الرّسائل التّي أشار إليها القلقشندي، وتأتي الخاتمة بعد ذلك لتحمل أهمّ النّتائج المُتوصّل عليها.

استند البحث إلى مجموعة من المصادر، وعلى رأسها كتاب "صبح الأعشى في صناعة الإنشاء" للقلقشندى الذّي يعتبر محور هذا البحث. كما اعتمدنا على كتاب "تاريخ الأدب العربي القديم" لحنا الفاخوري، وكتاب "الفنّ ومذاهبه في النّثر العربي" لشوقي ضيف، وكذلك كتاب عمر موسى باشا "تاريخ الأدب العربي،العصر المملوكي".

وفي سبيل إخراج هذا البحث واجهنا عدّة صعوبات، من أهمّها: قِلّة المصادر والبُحوث السّابِقة حول الموضوع، ونُقص المادة المعرفية.

ولم تقتصر الصُّعوبات على قِلّة المصادر والمراجع فحسب، بل واجهتنا مشاكل أخرى تتمثّل في عدم فهم كلام المؤلّف في بعض الأحيان إلّا بالرُّجوع إلى أصل الشّرح، وكذلك ضيق الوقت وخاصةً أنّ الكتاب يحتوي على عدّة مُجلّدات وهذا الأمر يتطلّب وقتًا. ولكن بالرّغم من كلّ الصّعوبات التّي واجهتنا، إلّا أنّ الرّغبة في البحث كانت وحدها كافية لتخطّي جميع العقبات.

وفي الأخير لا يسعنا إلّا أن نتقدّم بالشّكر الجزيل إلى الأستاذ المُشرف فلاق محمد الذّي تفضّل بالإشراف على هذه المذكّرة وتقديم التوجيهات والمُلاحظات، فجزاه اللّه خيرًا، وجعله منارة من منارات العلم.

كما نتقدّم بشكرنا وخالص تقديرنا إلى كلّ من تحمّل معنا جُهدًا ومشقّة، وكلّ من أسدى لنا نصيحة، وأغفلته الذّاكرة وهو بعمله باق...

كما لا يفوتنا أن نُقدّم شكرنا إلى كلّ من مدّ لنا يدّ العون وساعدنا من قريب أو من بعيد في إنجاز هذا العمل، وعلى رأسهم يذير وخميستي.

فجزى اللّه الجميع عنا خير الجزاء

مدخل:

في التعريف بالقلقشندي وكتابه "صبح الأعشى"

التعريف بالمؤلف:

هو أبُو العبّاس شِهاب الدّين أحمد بن عليّ المعرُوف بالقلقشندي "نسبةً إلى قلقشندة في القليوبية بمصر [.....] ينتهي نَسبه إلى بني فزارة"[1]، وُلِدَ سنة "ستٍّ وخمسين وسَبْعِمائةٍ، واشتغل بالفقه وغيره، وسمع على ابن الشّيخة، وكان أحد الفضلاء مِمَّنْ بَرعَ في الفقه والأدب وغيرهما، وكتب في الإنشاء، ونابَ في الحُكم"[2].

نشأ القلقشندي نشأة حسنة وتربّى تربية علمية صحيحة، وتوجّه إلى الإسكندرية أقام بها مُدّة من عُمره، وطَلَبَ العُلُوم الشرعيّة على مشهُوري العُلماء في عصره، واشتغل بِفُنون العربية و الأدب حتّى اجتمع لهُ مِقدارٌ وافرٌ منها، واطّلع على كثير من الكُتب والأسفار في مُختلف العُلوم والفُنون فأجازَهُ الشّيخ سراج الدّين ابن المُلقّن بالفتيا والتّدْرِيس على مذهب الإمام الشّافعي رضِي الله عنه.[3]

من بين " أفضل تصانيفه "صبح الأعشى في قوانين الإنشاء-ط" أربعة عشر مُجَلَّداً، في فُنون كثيرة من التّاريخ والأدب ووصْفِ البُلدان والممالكِ، و لهُ "حيلة الفضل وزينة الكرم في المُفاخرة بين السّيف و القلم-خ" و"قلائد الجمان في التّعريف بقبائل عرب الزّمان" و"ضوء الصُّبح المسفر- ط" مُختصر صُبح الأعشى و"نِهاية الأرب في معرفة أنساب العرب-ط"[4] وكانَ مِفْضَالاً وَقُوِّرا في الدّولة إلى أن تُوفي ليلة السّبت عاشر جمادي الآخرة، عن خمس و ستّين سنة.[5]

---

1 حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي(الأدب القديم)، دار الجيل، ط1، بيروت، 1986م، ص1032.

2 محمد عبد الرّسول إبراهيم، تقديم كتاب صبح الأعشى، ج1، دار الكتب السلطانية، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1920م، ص14.

3 ينظر: المرجع نفسه، ص16.

4 خير الدّين الزركلي، الأعلام(قاموس تراجم لأشهر الرجال و النساء من العرب و المستعربين والمستشرقين)، ج1، دار العلم للملايين، ط15، بيروت،2002م، ص177.

5 ينظر: محمد عبد الرّسول إبراهيم، تقديم كتاب صبح الأعشى،ص08

التّعريف بالكتاب :

يُعتبر كتاب "صبح الأعشى في صناعة الإنشاء" أضخم موسوعة وصلتنا في أدب الإنشاء ومُراسلات الملوك، حيث شَمِل جميع العُلوم الشّرعية والأدَبِية والجُغرافية والتّاريخية، فهُو كِتابٌ "جليلُ القدرِ، عظيمُ النّفعِ، كبيرُ الفائدة، لم يُنسج على مِنْوَالِه في عَالَمِ التّأليف في فُنون الأدبِ و الكِتَابَةِ، ولا نُعدُّ مُبالغين إذا قُلنا:إنّهُ أنْفسُ كتابٍ أُلِّف في اللُّغةِ العربية وتاريخ آدابها.

بيّن القلقشندي في هذا الكتاب حالة اللُّغة العربية الشّريفة و كيف كانتْ في العُصُور الأولى قبل الإسلام، إلى أنْ وَصَلتْ إلى ما وصَلَتْ إليه مِن الانتِشار بَعْدَ أنْ صارتْ لُغة القُرآن الكريم[1]، كما تحدّث عن "الخِلافة الإسلامية و شُروطها ورُسُومها، وكذلك الممالك الإسلامية في المشرق والمغرب"[2]. وقدْ قال فِيه صاحب كشف الظُّنُون: "وهُوَ على سبعة أجزاء كُلّ منها مُجلّد كبير في صِناعة الإنشاء لا يُغادر صغيرة ولا كبيرة إلاّ ذَكَرَهَا، وجَعلَ بَابا من أبْوابِهِ مَخْصُوصًا بعلم الخط و أدواته"[3] وأوردَ فِيه مِنْ "أُصُول الصّنعة في الكِتابة ما يُغْنِي قَارِئَهُ عنْ تَصَفُّحِ كثِيرٍ من المُؤلّفات الأدبية و غيرها، وضمَّنَهُ شيئًا كثيرًا يفُوقُ الحصر من الرّسائل البليغة لمشاهير الكُتّاب وأهل الأدب في الشّرق والغرب و القديم والحديث"[4]

يُعدُّ كِتاب صُبح الأعشى مِنْ "أفْضَل تصَانِيف القلقشندي فيه أربعة عشر مُجلّدًا ،في فُنون كثيرة من التّاريخ والأدب ووصف البُلدان والممالك."[5] ويَحْتوِي على مُقدِّمة وعشر مقالات، أمّا المُقدِّمة فخَصَّها للتّعريف بديوان الإنشاء وقوانينه، وفضل الكِتابة، وصفات

1 ينظر: محمد عبد الرّسول إبراهيم، تقديم كتاب صبح الأعشى،ص08

2 المرجع نفسه، ص09.

3 خليفة حاجي، كشف الظّنون عن أسامي الكتب والفنون، مج2، دار إحياء التّراث العربي، بيروت، د.ت، ص1070.

4 محمد عبد الرسول إبراهيم، تقديم كتاب صبح الأعشى، ج1، ص12.

5 خير الدّين الزركلي، الأعلام، ج،1،ص177.

الكُتّاب، أمّا المقالة الأولى فجاءت في بيان ما يحتاج إليه الكاتب من الأمور العلميّة و العملية، والثّانية في المسالك و الممالك.

و أمّا الثّالِثة و الرّابعة ففي تاريخ الكتابة وتطوُّراتها وما التزم في بدئها وختامها، واختلافها باختلاف المكتُوب إليه وموضُوع الكتاب. وأمّا الخامسة ففي البَيْعَاتِ و العُهُود وأنواع المناصب من رِجال السُّيُوف والأقلام وغيرهم، والسّادسة تحدَّث فيها عن الوصايا الدّينية والمُسامحاتِ و الإطلاقاتِ والطّرخانيات*[1]، وتحويل السِّنين والتّذاكر وذِكر النُّسخ من ذلك.

أمّا المقالة السّابِعة فذكر فيها مُقدِّمات الإقطاعات وبيان أقسامها وأصل ذلك في الشّرع ونشأتها، وفي المقالة الثّامنة تحدّث عن الأيمان والأقسام التّي يقسم بها الخلق من أقسام العرب في الجاهلية والأقسام الشّرعية التّي يحلف بها.

أمّا التّاسِعة فكانت عن الأمانات و عقد الأمان لأهل الكُفر وما يتعلّق منها بأهل الذمة والهدن وأنواعها، والمقالة العاشرة والأخيرة عَرضَ فيها فُنُونًا من الكِتابة، يتداولها الكُتّاب ويتنافسُون في عَملِها ليس لها تعلُّق بكِتابة الدّواوين السُّلطانية ولا غيرها، وفيه بابان: باب في الجدِّيات وقد ذَكَر نُسخًا من المقامات وعرض نماذج من الرّسائِل المُلوكية في الغزو والصّيد والمدح والذمّ والفخر وغيرها من أُمور المُلوك، وباب في الهزليات يتحدّثُ عنْ أنواع الهزل ،أمّا في الخاتمة فذكر أُمورًا تتعلّق بديوان الإنشاء غير أُمور الكتابة، ثمّ تحدّث عن البريد وبيان معالمه ومراكزه بالدِيّار المِصريّة والشّامِية، وعن الحمام الرّسائلي واستخداماته ومطاراته وأبراجه.

1*الطرخانيات: والمُراد بها أن يصير الشّخص مسمُوحا له بالخِدم السُّلطانية يُقيم حيث شاء، ويرتحِلُ متى شاء، تارةً بمعلوم يتناوله مجانا، وتارةً بغير معلوم.

فقد ألّف القلقشندي كِتابهُ "صُبح الأعشى" لِرغبته في مُساعدة كُتّاب عصره على الإتْقان والتّجويد، وهُناك دافِع خاص ذَكَرهُ في مُقدِّمة موسُوعته قائلِاً: أنّهُ لمّا لحق بديوان الإنشاء ،أنشأ مقامة بناها على أنّهُ لابُدّ للإنسان من حِرفة يتكسّب بها، وأنّ أَلْيق صِناعة بأهل العِلم الكتابة، وأنّ أفضل الكتابة كِتابة الإنشاء، وأنّهُ جمعِ تلك المقامة من أُصول هذه الصِّناعة وقوانينها ما لم تتّسِع له بُطون المُؤلّفات الطِّوال في هذا الباب، ثُمَّ سُئِلَ أنْ يشرحها فكان شرحها صُبح الأعشى.[1]

خطبة الكتاب:

تناول القلقشندي في خطبة كتابه "صبح الأعشى في صناعة الإنشاء" قضيّة الكتابة، فأشار بذلك إلى مكانتها وشرفها بين سائر الصنائع "لاسيما كتابة الإنشاء التي هي منها بمنزلة سلطانها"[2]

وللكتابة أهميّة بالغة منذ القديم، حيث لعبت دورا هامًّا في السيّاسة وفي تسيير شؤون الدّولة ورفعتها وعلوّ قدرها، وهي من المهن التي كرّمها الإسلام وهذا ما أكّده القلقشندي في قوله: " الكتابة أشرف مناقب الدّين بعد الخلافة، إليها ينتهي الفضل وعندها تقف الرّغبة"[3]، حيث أصبحت وسيلة من وسائل الحكم واستخدمها الخلفاء والولاّة لتبليغ أوامرهم لغيرهم.

كما بيّن القلقشندي مستويات الكُتّاب واختلاف مقاصدهم، "فأكثر الكُتب المُصنّفة في بابها، والتّأليف الدّائرة بين أربابها، لا يخرج عن علم البلاغة المرجوع فيها إليها، والألفاظ الرّائعة من ممّا وقع اختيار الكتاب عليه، أو ظرف من اصطلاح قد رفض وتغيّر أنموذجه ونقض، فلا يُغني النّظر فيه المقلّد من كتّاب الزمان ولا يكتفي به القاصر في أوانٍ بعد

1 ينظر :القلقشندي، صبح الأعشى، ج1، ص09.

2 القلقشندي، مقدّمة كتاب صبح الأعشى، ج1، ص06.

3 المرجع نفسه، ص37.

أوان"[1] فركّز بذالك "على أنّ معرفة المُصطلح هي اللّازم المُحتّم والمُهمّ المُقدّم لعُموم الحاجة إليه" [2]

وقد سرد القلقشندي بعض تجاربه في صناعة الإنشاء وبيّن شرف الاشتغال بهم كإنشائه مقامة بحث فيها الإنسان على اكتساب حرفة يتعلّق بها ومعيشة يتمسّك بها، وإنّ الكتابة هي أفضل حرفة، خاصة كتابة الإنشاء، ونبّه في هذه المقامة إلى ما يحتاج إليه كاتب الإنشاء من المواد وتبيان قوانين الكتابة، كما تخلّلت خطبة الكتاب بعض الآراء والأحكام النقدية التي جاء في المقدّمة، حيث قام القلقشندي بقراءة لكتاب التعريف بالمصطلح الشريف وكتاب "تثقيف التعريف" فنقد إهمال مؤلّفهما من مقاصد المصطلح أمورا لا يسوغ تركها "فكيفما كان فالاقتصار على المصطلح قصور والإضراب عن تعرّف أصول الصنعة ضعف همّة وقصور"[3] ثمّ انتقل إلى عرض مجموعة من المبادئ رأى أنّها ضروريّة وأساسيّة، فجمعها في مقدّمة تضمّ عدّة أبواب، الباب الأوّل: في فضل الكتابة، ومدح فضلاء أهلها، وذمّ حمقاهم، الباب الثّاني: في ذكر مدلول الكتابة لغة واصطلاحا، الباب الثّالث: في صفاتهم وآدابهم، والرّابع: في التّعريف بحقيقة ديوان الإنشاء، أمّا الخامس: ففي قوانين ديوان الإنشاء وترتيب أحواله وآداب أهله.

1 القلقشندي، صبح الأعشى، ص7.

2 المرجع نفسه، الصّفحة نفسها.

3 المرجع نفسه، ص8.

قيمة الكتاب:

صُبح الأعشى في كتَابة الإنشاءِ "مُوسُوعَةُ مطبوعة، وتعدّ أهمّ ما كتب القلقشندي ذيوعاً وانتشاراً، وأنّها التّي يُعرف بها هذا الرَجلُ"[1].

ويقولُ طه حسين "وهي خيرُ ما أُخرجَ للنّاس في هذا العصرِ، عصر الموسوعات الكبرى ولم يكن له إلاّ ذلك لكفاه"[2].

وَحَوْلَ دوافع تأليفهاَ يقول القلقشندي: إلاّ أنّه قد وقعتْ موقعَ الوحي و الإشارة، و مالتْ إلى الإيجاز، فاكتفتْ عن التّلويح عن واسع العبارة، فعزّ بذلك مطلبُها. فأشار من رأيه مقرون بالصّواب، ومشورته عرية عن الارتياب أن أتْبعها بمصنف مبسوط يشتمل على أصولها و قواعدها... فسمّيته « صبح الأعشى» في كتابة الإنشاء راجياً من الله تعالى أنْ يكونَ المَقْصُودُ وافياً وللعليل شافيا[3].

يُعدُّ كتاب "صبح الأعشى" حصيلة ثقافية جمع المؤلف شتاتها من كل العصور التّي سبقتها، فمُؤلّف الكتاب يبدو في كتابه بأنّه ذو ثقافة عالية جدًا، فقد أحسّ بما يلزم للكاتب من ثقافة عامة فحاول أن يُقدّمها بكلّ يُسر وسهولة، وهو ليس ممّن يأمرون النّاس بالبرّ وينسون أنفسهم وإنّما أخذ نفسه بهذه المعارف أولاً، إضافةً إلى أنهّ مُغرم بمهنته مُعتزٌّ بها في حديثه عن فضل الكتابة، يُوازن بين الشّعر والنّثر فيفضل النّثر على ما سواه، فهو في رأيه أرفع درجة وأعلى مرتبة، بينما يخضع الشّعر في رأيه لضرورات توجب على معانيه أن تكون تابعة لألفاظه بينما لا يحتاج الكلام المنثور إلى شيء من ذلك، فتكون ألفاظه تابعة لمعانيه، كما أنّ أسلوب القلقشندي في هذه الموسوعة سهل وعباراته واضحة لم يثقلها التكلّف وفيها

1عبد اللطيف حمزة، القلقشندي في كتابه صبح الأعشى، ص50 /نخبة من الأساتذة، أبو العباس القلقشندي، تق: أحمد عزت عبد الكريم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1973م، ص147.

2عمر موسى باشا، تاريخ الأدب العربي(الأدب المملوكي)، دار الفكر، دمشق، 1999م، ص549.

3 ينظر: أبو العباس القلقشندي، صبح الأعشى، ج1، ص9-10.

عناية مقبولة بزخارف البديع وهكذا نرى "أهميّة صبح الأعشى في تاريخ أدبنا العربي، ولم تقتصر على المُفكّرين القدماء إنّما تعدّى ذلك إلى المستشرقين الذّين يهتمّون بالدّراسات الاجتماعية والاقتصادية والإدارية ومنهم كودفري"[1].

يُعتبر هذا الكتاب أغنى مرجع عربي وذلك من حيث النّصوص الأدبية التّي احتواها، نظرًا لوفرة عدد الرّسائل والخطب الذي ضمّتها دفتاه[2]، تناول مواضيع منذ الفترات الأولى في الإسلام عن أنظمة الحكم في الشّرق العربي، وفي الإدارة والسيّاسة، والاقتصاد والمكاتبات، والولايات والعهود والعادات والتّقاليد والملابس، كما تناول صفات كاتب الإنشاء ومؤهّلاته، وأدوات الكتابة وفنونها وأساليبها وعن الجنود والأسلحة ومواكب تنصيب الخلفاء والسّلاطين، وعن مناسبة استطلاع هلال رمضان وموائد الإفطار، وملاعب السّباق، والألعاب الريّاضية، ووصف أشكال العمائِم ومراكب الدّواب، ومظاهر المجتمع العربي وتقاليده وأعرافه، وظواهره الاجتماعية.

كما أطنب القلقشندي في الجوانب السِيّاسية والإدارية في العصر المملوكي وأثبت وثائق مُهِمّة عن الأحوال السيّاسية والاقتصادية والاجتماعية الإدارية و الجغرافيا في عصره، و جاء الِكتاب موسوعة في فنّ الكتابة للدّولة وفنّ الترسّل و ما يتعلّق بهما.

وقد اعتمد القلقشندي في جمع مادة موسوعته و تأليفها على عِدّة مصادر، ومن أمثلة ذلك "ذخيرة الكتاب لابن حاجب النُّعمان، وحُسن التوسُّل في صناعة الترسّل لشهاب الدّين محمود الحلبي، والمثل السّائر لابن الأثير، والصِّناعتين لأبي هلال العسكري، وكتاب قوانين الدّواوين لابن مماتي، والعقد لابن عبد ربّه، وأدب الكاتب لابن قتيبة، والبيان والتّبيين

1 عمر موسى باشا، تاريخ الأدب العربي(الأدب المملوكي)، ص46.

2 ينظر: القلقشندي، صبح الأعشى، شرح محمد حسين شمس الدين، ج1، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت،1407هـ-1987م، ص20.

للجاحظ، وكتاب الأمّ للشافعي، والتّذكرة لأبي الفضل الصّولي"[1] وغيرها، فجمعت للقلقشندى مادة غزيرة من الكتب والمراسلات السّلطانية وغيرها من أصناف المكاتبات التي تكدّست في ديوان الإنشاء خلال العصور المتعاقبة، ولم يسبق أن اجتمعت من قبل لكتاب في موضوعه"[2].

كما أنّ للمكانة العالية التي تمتّع بها القلقشندي أثر كبير لتولّي العديد من الوظائف والمناصب الإدارية المرموقة في مصر، كما أنّ براعته في الكتابة و الإنشاء لفتت إليه أنظار رجال البلاط ومهّدت له سبيل الاضطلاع بالمنصب الذي أهّلته إليه مواهبه الأدبية والفنيّة و"لقد أشاد العديد من العلماء والمؤرّخين الذّين عاصروا القلقشندي بمكانته العلمية والأدبية وقدرته العالية على التّأليف والنّشر والكتابة، جعلته يحتل مكان الصدارة من بين مؤرخي عصره"[3]، فبدأ العمل في سفره الضّخم منذ انتقاله للعمل إلّا أنّه ظلّ يضيف إليه طوال السّنوات الباقية من حياته طالما كان يعمل بديوان الإنشاء[4]، وهذا دليل على تحلّيه بالأمانة العلمية في كتابة موسوعته الخالدة، إذ أنّه أشار إلى جميع علماء ومّؤرّخي عصره عندما ينقل حادثة أو معلومة سواء كانت سيّاسية أو جغرافية أو تاريخيّة فمكانته العلمية والأدبية وكثرة مؤلّفاته المختلفة جعلت منه اسما بارزًا ليس بمصر أو الدّول الإسلامية فقط بل تعدّى ذلك العلماء الأوربيون الذّين دهشوا بما كتبه وألّفه القلقشندي لاسيما موسوعته صبح الأعشى، وذلك لكون الكتاب « موسوعة ضخمة تجمع بين الأدب والتّاريخ والجغرافيا و الاقتصاد و الاجتماع و العلوم الدّينية و نظم الحكم و التّراجم والفنون وغيرها من ضروب

1 حكيمة بومريفق وسهير بوراس، أدوات الكتابة من خلال صبح الأعشى للقلقشندي، مذكرة ماستر، قسم العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2016-2017م، ص 22-23 .

2 خليل جليل بخيت القيسي، الحرف والصناعات في المغرب والأندلس، ص 8.

3 المرجع نفسه، الصّفحة نفسها.

4 ينظر: القلقشندي، صبح الأعشى، ج 1، ص 10 /كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي، تر: صلاح الدّين عثمان هاشم، دار الغرب الإسلامي، موسكو، ص416.

المعرفة التي تجعل منه دائرة معارف ثمينة يفخر بها الفكر العربي، و تعتزّ بها الحضارة العربية و الإسلامية في العصور الوسطى»[1].

وهذه الموسوعة ضمّت ما تفرّق من معلومات منثورة في عدّة كُتب قيِّمَة معروفة في عهده وأنّ أغلب الآراء حول صبح الأعشى تُشيد بالمكانة الرّفيعة لهذا الكتاب بين كُتّاب عصره، ويُعتبر كتابه سِجِّلاً أدِبيًّا لأنواع الثّقافة الأدبية، "وهو أجلّ كتاب ظهر في سماء الآداب العربية"[2] ، فكتاب صبح الأعشى "يوصل كاتب الإنشاء إلى غايته القُصوى في مواد الكتابة و مُستلزمات وظيفته الدّيوانية الخطيرة. فالأعشى: إن ساء بصره في اللّيل والنّهار أو أبصر في النّهار ولم يبصر في اللّيل، فهو عشٍّ وأعشى. وصبح : أول نهار؛ والمعنى ينظر إلى الانصباب والصّبوة؛ كأنّ القلقشندي يَعتبر كِتابه صُبحا يَنصبُّ منه النُّور فيرى الأعشى سبيله "[3]، وهذا ما يبرز قيمة هذا الكتاب.

وما يُثير الانتباه هو"أنّ هذا العمل الموسوعي الضّخم من إنتاج فرد بعينه في حين نرى أنّ الأعمال الموسُوعية الكُبرى تتضافر فيه جُهود من العلماء و الباحثين ، وبما تعاقب على انجازها غير جيل"[4].

1 القلقشندي، صبح الأعشى، شرح محمد حسين شمس الدين، ص4.

2 القلقشندي، صبح الأعشى، ج1، ص7.

3 القلقشندي، المرجع السابق ، ص12.

4 المرجع نفسه، ص18.

الفصل الأول

الرسائل الأدبية وخصائصها الفنيّة في "صبح الأعشى"

مفهوم الرّسائل الأدبية:

1.لغة:

جَاء في لسان العرب "الترسُّل من الرّسل في الأمُور والمنطق كالتمهّل والتوقّر والتثبّت، وجمع الرّسالة الرّسائل."[1]

أمّا في المعجم الوسيط فقد ورد تعريفها كالآتي: "الرّسالة:ما يرسل، والرّسالة الخطاب، والرّسالة كتاب يشتمل على قليل من المسائل، تكون في موضوع واحد. والرّسالة بحث مبتكر يُقدِّمُه الطّالب الجامعي لنيل شهادة عالية."[2]

كما جاء أيضًا في مختار الصّحاح في مادة رسل: "راسله مراسلة فهو مراسل ورسيل، وأرسله في رسالة فهُو مرسَل (بفتح السّين) ورسُول والجمع رُسْل بتسكين السّين وضمّها والرّسُول أيضاً الرّسالة."[3]

والترسّل من " ترسّلتُ أترسّلُ ترسُّلاً، وأنا مُترسّل، كما يُقال: توقّفت بهم أتوقّف توقُّفًا وأنا مُتوقِّف، ولا يُقال ذلك إلّا فيمن تردّد عليه اسم الفعل في الكسر. ويُقال لمن فعل ذلك مرّة واحدة، أرسل يُرسل إرسالاً وهُو مُرسل، والاسم الرّسالة. أو راسل يُراسِلُ مُراسلة وهو مُراسل، وذلك إذا كان هو ومن يُراسله قد اشتركا في المُراسلة، وأصل الاشتقاق في ذلك أنّه كلام يُراسل به من بعيد فاشتقّ له اسم الترسُّل، والرّسالة من ذلك."[4]

فالرِّسالة لفظة مُشتقّة من الإرسال، بمعنى التّوجيه و به فسر إرسال اللّه عزّ و جلّ أنبياءهُ عليهم السلام ،كأنّهُ وجّه إليهم أن أنْذِرُوا عبادي. والإرسال "التّسليط والإطلاق

1 ابن منظور الإفريقي، لسان العرب، مج11، دار صادر، بيروت، د.ت ، ص284.

2 مجمع اللّغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط4، 1425هـ _2004م، ص344.

3 الرازي، مختار الصحاح، الدار النّموذجية، ط5، بيروت، 1420هـ-1999م، ص154 .

4 ابن وهب الكاتب، البرهان في وجوه البيان، تح: حفني محمد شرف، مكتبة الشباب ،1969م، ص152.

والإهمال والتّوجيه والاسم الرّسالة بالكسر و الفتح" ولفظ الرِّسالة يدلّ على كُلّ "كلام يُراسل به مِنْ بعيد."[1]

وَوَرَدَ في مُعجم "تاج اللُّغة وصحاح العربية "في مادة راسل: "راسلَهُ مُراسلة فهُو مُراسل ورَسِيل، وأرسلهُ في رسالة فهُو مُرسل ورسُول والجمع رُسُل (بتسكين السّين وضمّها) والرّسُول أيضاً الرّسالة."[2]

كما ذكر الزمخشري في''أساس البلاغة'' ما نصّهُ: "راسَلَهُ في كذَا، وبينهُما مُكاتبات و مُراسلات ،وتراسلُوا وأرسلته برسالة وبرسُول وأرسلتُ إليه أن افعل كذا وأرسلَ اللّه في الأُمم رُسلاً."[3]

والترسُّل من "ترسَّلَ ترسُّلاً، وهُو كلام يُراسل به من بَعُدَ أو غاب، فاشتقّ لهُ اسم الترسُّل،والرِّسالة من ذلك، والترسُّل مبني على مصالح الأُمّة و قوام الرعية، لما يشتمل عليه من مكاتبات الملوك وسراة الناس في مهمات الدين، وصلاح الحال وبيعات الخلفاء وعهودهم إلى غير ذلك." [4]

فالرِّسالة إذن هي "كلُّ ما يُرسل أو هي الكلمة شفوية أو مكتُوبة يبلغها الرّسُول أو يحمِلُها إلى من تُرسَل إليه، وهذه الكلمة تختلف طُولاً وقصراً على حسب موضُوعها."[5]

1 فايز عبد النبي فلاح القيسي، أدب الرّسائل في الأندلس (في القرن الخامس هجري)، دار البشير، ط1 ،1409هـ_1989م ، ص77 .

2 أحمد بن عبد العزيز الجوهري، معجم الصحاح، تح: أحمد عبد الغفور عطار، مطبعة بولاق، ط2، مصر، 1957م ،ص101.

3 الزمخشري، أساس البلاغة، تح:محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1419م، ص353.

4 عمر عروة، النثر الفني القديم، أبرز فنونه وأعلامه، دار القصبة للنّشر، د.ت ، ص32.

5عبد العزيز عتيق، في النّقد الأدبي ،دار النهضة العربية، ط2 ،بيروت ،1391هـ_1972م، ص221.

2- اصطلاحا :

يُعتبر فنّ الرّسائل من الفُنون الأدبية القديمة، وهو " فنٌ نثريّ جميل يُظهِر مقدرة الكاتب وموهبته الكتابية وروعة أساليبه البيانية المنقّمة القويّة"[1] ويُطلق لفظ الرسالة على ما ينشئه الكاتب في نسق فنّي جميل في غرض من الأغراض، ويوجّهه إلى شخص آخر، ويشمل ذالك الجواب والخطاب"[2] فهي تعني "ما يدبّجه الكاتب ويبعث به إلى غيره"[3] وأقرب اصطلاح لها أنّها: " تسمية واسعة لأيّ نصّ موجّه إلى فرد أو جماعة"[4] والمراد فيها " أمور يرتّبها الكاتب: من حكاية حال، من عدوّ أو صيد، أو مدح أو تقريض أو مفاخرة بين شيئين، أو غير ذالك ممّا يجري هذا المجرى، وسمّيت رسائل من حيث إنّ الأديب المنشئ لها ربّما كتب بها إلى غيره مخبرا فيها بصورة الحال مفتتحة بما تفتتح به المكاتبات ثمّ توسّع فيها فافتتحت بالخطب وغيرها."[5]

يرى عبد العزيز عتيق أنّ الرسالة " قطعة من النثر الفنّي تطول أو تقصُر تبعا لمشيئة الكاتب وغرضه وأسلوبه، وقد يتخلّلها الشعر إذا رأى لذالك سببا، وقد يكون هذا الشعر من نظمه، أو ممّا يستشهد به من شعر غيره، وتكون كتابتها بعبارة بليغة وأسلوب حسن رشيق، وألفاظ منتقاة، ومعان طريفة".[6]

---

1 مجموعة من العلماء والباحثين، الموسوعة العربية العالمية، حرف الرّاء، ج11، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، ط2، ص 202.

2 فايز عبد النبي فلاح القيسي، أدب الرسائل في الأندلس، ص78.

3 المرجع نفسه، ص79.

4 أحمد بن عبد العزيز الجوهري، معجم الصّحاح، ص101.

5 القلقشندي، صبح الأعشى، ج 14، ص138 – 139.

6 عبد العزيز عتيق، الأدب العربي في الأندلس، دار النهضة العربية، ط2، بيروت، 1976م، ص448.

أمّا جيرالد برانس فيعتقد أنّ الرسالة في " أحد المكوّنات الرئيسية لأي فعل من أفعال التواصل اللفظي."[1]

وتعتبر الرسالة من الأجناس ذات الصبغة الكتابية في الخطاب النثري الممثل بعصر التّدوين"[2] فهي حسن التوصّل إلى استمالة المخاطب، وتسهيل ما صعب على المراسل وبما أنّها وسيلة التخاطب " فإنّها تبدو بديلا عن الأقوال التي يمكن أن يتبادلها متخاطبان أثناء الحوار"[3] ويسمّي بعض الباحثين الرسائل الأدبية باسم النثر الفنّي.[4]

وعرّف ابن وهب الترسّل فقال: "كلام يراسل به من بعيد، فاشتُقَّ له اسم الترسّل، والرسالة من ذلك."[5] وهو فنّ يقوم على "خطاب يُوجِّهه شخص إلى شخص آخر، أو يُوجّهه مقام رسمي إلى مقام رسمي آخر."[6] وفي رأي محمد التّنوخي "الترسُّل ما يكتبه المرء إلى صديقه أو إلى أهله وتكون موجزة محدودة الموضوع سهلة الأسلوب، خالية من التأنُّق اللّفظي غالِبًا."[7]

كما اعتبره جورجي زيدان "إنشاء المراسلات على الخصوص لأنّهم يُريدون به معرفة أحوال الكاتب والمكتوب إليه، من حيث الأدب و المصطلحات الخاصة المُلائمة لكلّ طائفة

1 جيرالد برانس، قاموس السرديات، تر: السيّد إمام، ميريت للنشر والمعلومات، ط1، القاهرة، 2003م، ص107.
2 مجموعة من الأساتذة، مجموع من النثر الفنّي وأجناسه في النقد العربي القديم، تر: طاهر حجار، دار طلاس للدّراسات والترجمة والنشر، دمشق، 1985م، ص219.
3 نخبة من الأساتذة، الأدب والأنواع الأدبية، تر: طاهر حجّار، طلاس للدّراسات والترجمة والنّشر، ط1، دمشق، 1985م، ص219.
4 ينظر: شوقي ضيف، العصر الجاهلي، ج1، دار المعارف، ط11، القاهرة، ص398.
5 أبي الحسين إسحاق بن إبراهيم بن سليمان بن وهب، البرهان في وجوه البيان، ص.191
6 حسين غالب، بيان العرب الجديد، دار الكتب اللبناني، ط1،بيروت،1971،ص181.
7 محمد التّنوخي، المعجم المفصل في الأدب، دار الكتب العلمية، ج2، ط1، بيروت،1993،ص478.

وهو الذّي يتغيّر مع الأعصر، ويشتمل على المراسلات و الخطب و مُقدِّمات الكُتب لانّ أساليبها مُتشابهة."[1]

نخلص بما سبق أنّ أدب الرّسائل "هو ذلك اللّون الأدبي الذّي يشمل جميع موضوعات الرّسائل النّثرية الفنيّة المُتبادلة بين النّاس على اختلافها في الطول".[2]

أنواع الرسائل:

لقد تعدّدت تصنيفات الرّسائل وكَثُرَت التّسميات عند الدّارسين ومن تلك التّسميات "ديوانية وإخوانية وأدبية " و"سلطانية وإخوانية وديوانية " و"رسمية وشخصية" و" سياسية واجتماعية ودينية "، وتتمثل أنواع الرّسائل في:

أ- **الرّسائل الديوانية:** وهي الرّسائل "الصادّرة عن ديوان الخليفة، والأمير يوجّهها إلى أعدائه أحيانا منذرا ومتوعدا"[3] فالرّسائل الديوانية إذن هي تلك التي تعالج شؤون الإدارة والتّنظيم الدّاخلي الذي يتعلّق بالحياة العامة ، وشؤون الرعيّة، "فكانت الكتابة في شؤون الدّولة كبيعة الخلفاء وتولية الوُلاّة والوصايا في تدبير السّياسة والحكم للوزراء والحُكّام فمن رسائل الخلافة التي كتبها جيل بن يزيد بن عمارة بن حمزة إلى المهدي يعزّيه عن أبيه ويهنّئه بالخلافة " وقد تطرّقت الرسّائل الدّيوانية إلى موضوعات و أغراض عديدة ومتنوّعة "منها رسائل الجهاد"[4] التّي يُوجِّهُها الخلفاء إلى قوادهم يُكلِّفُونَهم فيها بالغزو ويُزيّنون إليهم الجهاد في سبيل الله، وكان منها أيضا التّي ذُكِرت فيها الفتن والاضطرابات الدّاخلية وذلك بسبب التّمزُّق والتّشتُّت اللّذان شهدتها الدّولة الإسلامية ومن بين موضوعاتها مبايعة الخلفاء

1 جورجي زيدان، تاريخ آداب اللّغة العربية، ج2، مطبعة الهلال، 1930م،ص34.

2 فايز عبد النبي فلاح القيسي، أدب الرسائل في الأندلس، ص87.

3 عبد العزيز عتيق، في النقد الأدبي عند العرب، ط2،دار النهضة العربية، بيروت، 1391هـ-1972م،ص223

4 مصطفى البشير قط، مفهوم النّثر الفنّي وأجناسه في النّقد العربي القديم، دار اليازوري، سلطنة عمان، 2009م، ص123 .

فنجد كتب المبايعات مالت إلى الإطناب و التّطويل واستهلال مقدّمة رسالته بالتّحميد ويتصل بهذا النوع من الرسّائل بالتّهاني بما تتحقّقُ من فتوحات وظفر على أعداء المسلمين، كما تضمّنت الرّسائل الدّيوانية أوامر الخلفاء بتولية من يختارونهم من الولاّة أو عزلهم"[1] وتتضّمن هذه الرّسائل على العموم اقتباسات من القرآن الكريم[2] فالرّسائل الدّيوانية إذن أطلق عليها تسميّة بالرّسائل الرسمية ونعني بها الرّسائل الخّاصة بشؤون الدّولة في الدّاخل والخارج.

ب- الرّسائل الإخوانية:

فالرّسائل الإخوانية هي الرّسائل التي تصوّر عواطف الكتّاب وانفعالاتهم ومشاعرهم الخاصّة من المدح والإخاء والاعتذار والاستعطاف وغيرها من الأمور[3] وقد اصطلحت كتب الأدب على تسميّتها بالرّسائل الإخوانية .

وللرّسائل الإخوانية بعض " الخصائص والسِّمات التّي تجعل النّثر يُزاحم الشعر في أهمّ خصائصه، لما للنّثر من جزالة الألفاظ ورصانتها، ومن حسن تلاؤمها في الجرس، فالنّثر أكثر طواعية لحمل الأفكار ليُسر تعابيره وما يجري فيها من مرونة، فالشّعراء يتّخذون من النّثر أداةً لتصوير خواطرهم ومشاعرهم وأفكارهم"[4].

وتدور موضوعات هذا النّوع من الرّسائل حول "الجانب الإنساني وما يرتبط به من صداقة وأُخُوّة وعواطف نبيلة، فالتّرسل الإخواني تطّرق إلى عدّة جوانب منها الاجتماعية فقد اتّسعتْ الرّسائل الإخوانية للموضوعات المُتّصلة بالصّداقة كالرّغبة في التّلاقي للمسامرة أو المنادمة وكما عبّرت عن بعض العادات الاجتماعية كتبادل الهدايا من كتب وخيول وسيوف

1 بوصوري ناصر، فنّ الترسّل في العهد الرستمي-مقاربة أسلوبية لرسالة ماجستير، جامعة ورقلة، 2007، ص35-36.

2 ينظر: المرجع نفسه ، ص36- 38.

3 ينظر: مصطفى البشير قط، مفهوم النثر الفني وأجناسه في النقد العربي ص 125-126

4 مصطفى السيوفي، تاريخ الأدب في العصر العباسي، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية، ط1، القاهرة، 2008م، ص144.

وغيرها"[1]، وقد اتّخذ الكُتّاب هذا النّوع من الرّسائل لتوجيه الشُّكر إلى إخوانهم، كما اتّسعت أيضا لتُشارك فنون أخرى، من بين هذه الموضوعات نجد الاعتذار والوصايا والتّهاني بالولاية، وقد جعلها القلقشندي في كتابه: "في سبعة عشر نوعًا، منها التّهاني والتّعازي، والعتاب والشكوى والاعتذار والاستمناح والشّكر وما إلى ذلك من الموضوعات"[2]إلى جانب هذا هناك نوعًا آخرَ من الرّسائل يُطلق عليها بالتّعليمية وخُصِّص للحديث عن الموضوعات الأدبيّة أو العلميّة أو الدّينيّة ومثال ذلك رسائل أبي العلاء المعريّ"[3].

ج- الرّسائل الأدبية:

أمّا النّوع الآخر من الرّسائل يتمثّل في الرّسائل الأدبيّة وموضوعاتها، و" التّي كانت تُعنى بالكتابة في موضوع محدّدْ"[4]، ويدخل هذا النّوع " من الرّسائل في باب التّأليف وليس من باب الترسّل ويكون ذلك نادرًا،كرسالة الغفران لأبي العلاء المعرِّي، والرّسالة الهزليّة لابن زيدون الّتي كتبها على لسان ولادة بنت المستكفي إلى ابن عبدوس منافسه في الحُبّ والسّياسة، ورسائل ابن شهيد في الأنْدلس التّي تُخاطب الأمراء والملوك وفي بعضها آخر مخاطبة الأدباء، كما ألّف رسائل أخرى تتناول قضايا اجتماعية وتاريخية بالإضافة إلى الأدبيّة، ومن أشهرها رسالة "التّوابع و الزّوابع" وسُمِّيت بشجرة الفكاهة، حيث خاطب بها كاتِبُها صديقه أبا بكر بن حزم حينما تساءل معجبا ببلاغة صديقه، فقد حاول ابن شهيد تعليل ذلك في مطلعِ رسالته إن كان قليل الإطّلاع ويملك موهبة طبيعيّة وتُسمّى هذه المؤْهبة عند القدامى العرب بـ "شيطان الشّعر" أي أنّ لكلّ شاعر شيطان تابعا له يلهمه الشّعر" [5].

1 بوصوري ناصر، فن الترسل في العهد الرستمي- مقاربة أسلوبية، ص38-40.

2 القلقشندي، صبح الأعشى، ج9، ص9-225.

3 بوصوري ناصر، مرجع سابق، ص 40-43.

4 شوقي ضيف، العصر العباسي الأول، ص 442.

5 يوسف عيد، دفاتر أندلسية، مؤسسة ناشرون، ط1، طرابلس، 2006م، ص 539.

أمّا الباحث صالح بن رمضان عند التّأسيس لموضوعه حول الرّسائل الأدبيّة يرى أنّ "الرّسائل الأدبيّة تضمَّم نصوصًا مختلفة الأشكال والوظائف فمن ناحية الأشكال فجد نوعين من الرّسائل: الأوّل شعري، أمّا النّوع الثاني فهو نثْري، لكن نجد نوعًا آخر من الرّسائل الأدبيّة: المزج و الجمع بين الشّعر والنّثر، وأمّا من ناحية الوظائف نُصنّف الرّسائل الأدبيّة الّتي ذات الوظيفة الإنشائية وهي إنتاج صناعة الترّسل، ورسائل ذات الوظيفة التّثْقيفية والنّقدية وقد أدرجوها مؤرخو الأدب ضمن باب النّثر الأدبي التّأليفي، أمّا الصّنف الآخر هي الرّسائل المدرجة في سياقات قصصية"[1].

نماذج من الرّسائل:

- رسالة للحسن بن وهب كتبها إلى المتوكّل في عيد النيروز.

- الكندي الفيلسوف يهدي إلى بعض إخوانه سيفا وفيه ما يدلك على مزاحمة النّثر في بعض ميادينه.

- أبو علي بن بصير يكتب في رسالة إلى صديق من أصدقائه في معنى الصداقة.

- من الشّعراء الكُتّاب أحمد بن أبي طاهر طيفور، كتب رسالة شكر لعلي بن يحي المنجح.

- لابن المعتزّ واحدة من رسائله الأخوّية في الّتهاني بمناسبة العيد إلى صديقه عبيد الله بن وهب.

نشأة وتطوّر فنّ الرّسائل:

يُعدُّ فنّ الرّسائل شكلاً من أشكال النّثر في الأدب العربي والحديث عن أوّلية التّرسل ومراحل تطوّره وكيف وصل إلى مكانة سامية بين فُنون النّثر العربي يتطلّب منّا الوقوف

1 صالح بن رمضان، الرّسائل الأدبية ودورها في تطوير النثر العربي القديم،دار الفارابي للنشر والتوزيع، ط2، تونس، 2007، ص12-15.

على مراحل نشأة وتطوّر النّثر الفنّي في مختلف عصوره، إبتداءًا من مرحلة العصر الجاهلي إلى غاية مرحلة الأندلسي، وكما نتعرّف على بعض خصائص وتسميات أدب الرّسائل في هذه العصور.

1- مرحلة العصر الجاهلي:

عند الإطّلاع على العصر الجاهلي نجد تطوّر الشّعر في شتّى مجالاته وفنونه، وقد عني الكثير من الباحثين والدّارسين بدراسته ولكن بعد الاطّلاع على النّثر في هذا العصر وُجد أن في الرّسائل لم يكن موجودًا في ذلك العصر وخاصةً أنّ " العرب استخدموا الكتّابة في العصر الجاهلي لأغراض سياسيّة وتجاريّة، ولكنّهم لم يخرجوا بها لأغراض أدبيّة خالصةً تُتيح لنا أنْ نزعم أنّه وجد عندهم لون من ألوانِ الكتّابة الفنّية "[1]، ورأينا العصر الجّاهلي[2] " لا يعرف من الكتّابة غير بعض المعاهدات والأحلاف وبعض العقود التجاريّة وما إلى ذلك مما يمكن تسميّته بالكتّابات السياسيّة والاقتصاديّة أمّا الكتّابة الفنّية فلم يعرفها ذلك العصر الجاهلي" إلاّ بعض الفنون الشّفاهِية كالقصّة والمثل والخُطبة إنّ رسائله اتّصفت " بالإيجاز والبساطّة في التّعبير دون صنعة لفظية وكانّت عبارة عن الّرسائل والتّوصيات وحكم وأمثال كرسالة المنذر الأكبر إلى كسرى أبو مروان ورسالة عبد العزيز بن قيس الكلبي إلى قومه"[3] ويؤكّد شوقي ضيف "أنّه ليس بين أيدينا وثائق جاهليّة صحيحة تؤكّد أنّ الجاهليّين عرفوا الرّسائل الأدبيّة وتداولوها "[4]ولم تكن الكتّابة شائعةً عند العرب في الجاهليّة ولهذا لم يكن للرّسائل دور في حياتهم الأدبيّة في ذلك العصر لقلّة الدواعي إليها وإنّما ازدهر عندهم الشّعر والخطابة والحكم.

1 شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في النثر العربي ، ط5، دار المعارف ، مصر، د.ت، ص19.

2 حسين نصار، نشأة الكتابة الفنية في الأدب العربي، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002 م، ص 245.

3 آمال داعوق سعد، فن المراسلة عند مي زيادة، ط1، دار الأفاق الجديدة، بيروت، 1986، ص 29.

4 شوقي ضيف، العصر الجاهلي، دار المعارف، ط 11، القاهرة، د ت، ص 398.

2- مرحلة العصر الإسلامي:

عندما جاء الإسلام تغيّرت الحال وظهرت مفاهيم جديدة لم تكن معروفة من قبل، أراد النّبي (ص) من خلالها أن يغيّر من نسيج العقل الجاهليّ، وكانت الرّسائل في القرآن الكريم والمأثور من الأمثال والأشعار وتتميز بجزالة اللفظ وفصاحته والإبعاد عن التكلّف والتصنّع "[1] وفي هذا المعنى يُوضّح القلقشندي أوليّات الرّسائل والدّواوين إذ يقول "اعلم أنّ هذا الدّيوان (الرّسائل) أوّل ديوان وضع في الإسلاّم وذلك أنّ النّبي ص يُكاتب أمراءه وأصحابه سراياه من الصّحابة ويُكاتبونه وكتب من وكتب إلى من قرب من ملوك الأرض يدعوهم إلى الإسلاّم، وبعث إليهم رسله بكتبه وهذه المكتوبات كلها متعلّقة بديوان الإنشاء "[2] وقد انتشرت " الكتّابة في هذا العصر انتشارًا كبيرا، وظهرت أنواع كثيرة من الكتابات السياسيّة والدينيّة الإخوانية ولكنّها كانت صريحةً بسيطةً لا ترمي إلّا إلى مجرد الإفهام "[3] .

3- مرحلة عصر الخلفاء الراشدين:

نقف على تأّثر كتّاب هذه المرحلة بالقرآن الكريم والاقتباس منه، كما تتميّز رسائلهم بتجنيب الألفاظ الغريبة مع الحرص على وضوح المقصود والإقنّاع دون جنوح إلى عمق فلسفي أو تعقيد فكري، فالأساليب المختارة فيها تنويع وتأثير مع بلاغة اللّفظ والمعنى والإكثار من الحجج و البراهين وصيغ الإقناع والميل إلى الإيجاز مع اقترابها من اللّغة الخطابيّة.[4]

اعتناء الكتّاب في رسائلهم بتهذيب الألفاظ مع التأنّق في صوغ العبارات ومحاكاة أساليب القرآن والأحاديث النّبويّة بالإضافة إلى ترتيبهم للمعاني والأفكار دون تغلغل فيها ونجد ازدياد

1 قط مصطفى، النثر الفني ونقده عند العرب من الشّفاهية إلى الكتابة، ص 141.

2 القلقشندي، صبح الأعشى، ج1، ص91.

3 حسين نصار، نشأة الكتابة الفنية في الأدب العربي، ص 245.

4 ينظر: مي يوسف خليفة، النثر العربي بين صدر الإسلام والعصر الأموي، ص 65-66.

الحاجة إلى الرّسائل في هذا العصر لاتّساع رقعة الدّولة الإسلامية ولكثرة الخلافات وحاجة الفاتحين إلى أخبار الخليفة لهم، والكاتب في عهد الرّاشدين شخص يختاره الخليفة.[1]

4 -مرحلة العصر الأموي:

وقد نَمتْ الكتابة في العصر الأموي نُموًّا واسعًا، وظهرت الرّسائل بكثرة وقوّة وحقّقت تطوراً كبيراً حتى جعلت المرحلة الأمويّة تحتلّ مركز الصّدارة في تاريخ التّرسل العربي ونشطت الكتابة نشاطاً سريعًا وملحوظًا وعاش النّاس حياة ترف وتحضّر " وهذا التحضّر يتبعه تعقيد في الحياة وتشابك في المصالح وحاجة إلى التّفاهم والتّواصل وهذا ما يطوّر كتّابة الرّسائل وينمّيها."[2]

وقد غلب على رسائل بني أميّة الإملاء من الخليفة وتعدّ خطوة هامّة في تاريخ تطوّر كتابة الرّسائل وتعدّد المكاتبات وكثرة الدّواوين، حيث ظهر " كتّاب محترفين وظهر ديوان الرّسائل فعرفت الرّسائل الفن وتنافس الكتّاب في إظهار البراعة والفصاحة ليكسبوا رضا الخلفاء وعطفهم." [3]

وتتمثل أبرز سمّات فن التّرسل في هذا العصر في" ظهور معالم الصّنعة في فنّ الكتابة بحيث الإطالة و السّجع والمقابلات" [4]، وقد أصبحت "الرّسائل قبل أن ينقضي العصر الأموي صناعة لها قواعد وأصول وأصبحت للرّسالة مطالع فيها تحميدات ولها خواتم وأصبح التّرسل في العصر الأموي فناً رسميًّا يتعلق بأمور الدّولة."[5]

1 عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي، ج1،ط1 ، دار العلم للملايين، بيروت، ص 375.

2 حسين نصار، نشأة الكتابة الفنية في الأدب العربي، ص61.

3 المرجع نفسه، ص245 .

4 مي يوسف خليفة، النثر الفني بين صدر الإسلام والعصر الأموي، ص 160-161.

5 عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي، ص 375.

وتختلف "رسائل هذا العصر عن العصور السّابقة ما يميّزها حسن اختيار الألفاظ وبراعة أداء المعاني وجمال صياغة المعاني واسترِسالها"[1]، كما تميّزت كتابات بني أميّة بإيجاز المفهم والأسلوب البليغ الذّي يُؤدّي معناه ويوضح مبناه، كما أنّها اتّسمت بالسهولة والوضوح والابتعاد عن التكلّف والغموض " [2].

5-مرحلة العصر العباسي:

يحتلّ فنّ الرّسائل في العصر العباسي مكانةً مرموقةً بين الأدب " وقد شهد هذا العصر نشاطاً واسعاً في الكتابة الفنيّة ولاسيماً في الّرسائل التي اهتمّت بمظاهر الحياة الاجتماعية وشرع الكتّاب يضعون رسائل كثيرة من خلال موضوعات متنوّعة كالتهنّئة والتّعزية والاعتذار وغير ذلك "[3]، وقد تطّور فنّ الرّسائل في العصر العبّاسي تطوراً واضحاً وتمتاز تلك الرّسائل بمقام رفيع في فنّ الكتابة مع الإيجاز البليغ، والصّور الأدبيّة المتألّقة، والثّراء اللّفظي واللّغة العذبة[4]

فالرّسائل الإخوانية في العصر العبّاسي تتّسم بمجموعة من الخصائص منها انتشار السّجع في الرّسائل الإخوانية طوال العصر، والعناية بالصوّر البيانية وبعض ألوان البديع، وأخذت تسود فكرة النموذج في الكتابة في التّهاني والبشارة والإنذار والاعتذار[5].

1 كمال اليازجي، الأساليب الأدبية في النثر العربي القديم، ط1، دار الجليل ، 1986، ص63.

2 ينظر: لعاني عالية، النثر في العصر الأموي، جامعة وهران، 2015، ص79.

3 خالد الحلبوني، الرّسائل النثرية الشخصية في العصر العباسي، جامعة دمشق، 2006، ص37.

4 خالد الحلبوني، المرجع نفسه، ص 29

5 مصطفى السيوفي، تاريخ الأدب في العصر العباسي، ص 145.

6-مرحلة العصر الأندلسي:

عند العودة للعصر الأندلسي نجد أنّ الّرسائل من أهمّ فنون النّثر في هذا العصر، " وقد تطوّر أدب الرّسائل في الأندلس تطوراً كبيراً وقد ظهر عدد كبير من الكتّاب "[1]. وتنوّعت الرّسائل في شتّى المجالات منها "الرّسائل السلطانيّة التي كانّت تصدّر عن ديوان الخليفة موجّهة للعمال والقادة والأعداء ورسائل الأمان "[2].

فأدب الرّسائل في "الأندلس في القرن الخامس هجري تطوّر تطوُّرا كبيرًا وتشعّبتْ موضوعاته واتّجاهاته وأغراضه تبعا لتشعّب أمور الحياة في المجتمع الأندلسي"[3]، وقد اتَّسمتْ الرّسائل في هذا العصر " بالبساطة والبعد عن التّعقيد، والإيجاز في القول والقصد في التّعبير والابتعاد عن المحسنات البديعية وميل الكُتّاب إلى التأنُّق والتّجميل، فالعامل الذّي يُساعد في التطوّر الكبير في أدب الرّسائل لهذا العصر هو تأثُّر كُتّاب الرّسائل بأساليب النّثر المشرقي ومذاهبه التّي عُرِفت آنذاك كأسلوب عبد الحميد الكاتب في أواخر العصر الأموي، وتأثّرهم بالمدرسة الفنيّة للجاحظ وغيرها من العوامل التي ساعدتها في تطوّرها "[4].

7-مرحلة العصر المملوكي:

إنّ الرّسائل في العهد المملوكي تعتبر من أهمّ الفنون النثريّة التي عرفت فيه " ويمتاز بأنّه عصر الموسوعات العلميّة والأدبيّة وقد ظهرت طائفة من العلماء المُتخصّصين في علوم مختلفة ونشّطت حركة التّأليف في الكتب والموسوعات ومن أشهر تلك الموسوعات كتاب "صبح الأعشى" لأبي العبّاس القلقشندي ولقد تطوّرت فنّ الرّسائل في هذا العصر تطوُّراً

1 فايز عبد النبي القيسي، أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس هجري ، ط1، دار البشير، عمان، 1989م، ص 143.

2 عبد العزيز عتيق، الأدب العربي في الأندلس، دار النهضة، بيروت، 1976م، ص 448-449.

3 فايز عبد النبي، أدب الرسائل في الأندلس، ص 88.

4 المرجع نفسه، ص88 – 91 .

ملحوظاً ولامست رسائل هذا العصر مختلف مظاهر الحياة السياسيّة والاجتماعيّة "[1]، ومن بين رسائل هذا العصر نجد رسالة لمحي الدّين بن عبد الظاهر بن السلطان قلاوون وعلى لسانه إلى السّلطان أحمد غازات سلطان التّتار ردًّا على رسالة منه في طلب الهدنة والسلام بعد اعتناقه الإسلّام[2].

وهكذا فالميلاد الحقيقيّ لفنّ الرّسائل عامة وفنّ الرّسائل السياسيّة خاصة هو العصر الإسلامي عصر البعثة المحمديّة.[3]

عوامل ازدهار أدب الرّسائل:

إنّ ازدهار الأدب مرتبط في كثير من جوانبه بازدهار النّثر الفنّي، " فحركة النّثر في العصر الجاهليّ بسيطة إذ غلب عليه لون واحد هو الخطابة التي احتاج إليها الخطباء النّاطقون باسم القبائل في المناسبات كالحروب وغيرها من المناسبات، وعند مجيء الإسلاّم ازدهر فنّ الخطابة وتنّوعت أسبابه واختلفت مراميه ونجد في عهد النّبي ص بدأ الاهتمام بفنّ الرّسائل فقد احتاج المسلمون إلى أن يكتبوا رسائل الرّسول التّي كان يوجّهها إلى من يريدها الإسلام كرسالته إلى هرقل ملك الروم والمقوْقّس صاحب مصر، ولكنّ هذه الرّسائل قصيرة تهدف إلى أداء فكري لا إثارة جمال فنّي[4].

لقد بدأت الحياة العربيّة تختلف اختلافاً ملحوظاً منذ نهاية القرن الأوّل وبداية القرن الثاني، وكذلك تقدّمت الحضارة الإسلّامية تقدماً مذهلاً، فالعرب بدؤوا يحتكّون بالأممّ والحضارات الأخرى كالفرس واليونان عن طريق التّواصل الثقافيّ وذلك بتوسيع حركة

1 رشا فخري النحال: الرسائل في العصر المملوكي، دراسة تحليلية، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، غزة، 2013-2014 م، ص 29 -31.

2 محمد زغلول سلام، الأدب في العصر المملوكي، ج2، منشأة المعارف الإسكندرية، د ت، ص18.

3 ينظر: نبيل أبو علي، نقد النثر، النهضة المصرية العامة، 1993 م، ص 263 .

4 ينظر: مصطفى السيوفي، تاريخ الأدب في العصر العباسي، ص 149.

الترجمة وامتدّت إلى مجالات علمية و عملية مختلفة أهمّها المجال السيّاسي والاجتماعيّ والأدبيّ، إن هذه العوامل أدّت إلى ازدهار النّثر الفنّي، أمّا الرّسائل فقد أصبحت الحاجة إليها مُلّحةً وشديدةً، ذلك أنّ ظروف الحياة في القرن الثاني وما بعده دعت إلى الاستزادة من الدّواوين فأدّى هذا إلى ازدهار الكتابة وكثرة محترفيها كما كانّ الحال في العصر العبّاسي الذي شهد العديد من الكتّاب الذين اجتهدوا لإتقان مهنتهم فلم تكن الكتابة غايتها تحقيق الرّبح والفائدة[1]، وإنّما كانت تفتح أمامه فرصاً عمليّة ثمينةً، ويبدو أنّ النّثر أصبح منذ العصر العبّاسي وربّما قبله بقليل يفرض نفسه على السّاحة لأنّ هناك أموراً حياتيّة واجتماعيّة وتاريخيّة لا يستطيع الشّعر أن يعبّر عنها بقدرة النّثر على ذلك، وظلّ النّثر يتصاعد مع تصاعد أهله في وظائف الدّولة العليا، وبدأت النّفوس تقبل عليه وذلك بقرته على التعبير عن حاجات فكريّة وروحيّة مؤثّرة، وبدأ الكتّاب يتبادلون الرّسائل التّي تحمل معاني الوجدان من خوف ومديح وغيرها، كما أصبحت تحمل في جوانب منها أفكاراً فلسفيّة معقّدة يحتاج أصحابها لبسطها وتعليلها إلى أسلوب نثريّ يعطيهم مجالات واسعة[2]

1 ينظر:مصطفى السيوفي، تاريخ الأدب في العصر العباسي، ص50.

2 ينظر: المرجع نفسه، ص 151.

ما يشترطه في الكتاب:

الكتابة وسيلة من وسائل الاتّصال التّي عن طريقها يستطيع الفرد التّعبير عن أفكاره وأن يتعرّف على أفكار غيره، فللكتابة شأنها العظيم ومكانتها العالية الرّفيعة، فهي الحافظة للتّاريخ والتُّراث، وهي الرّاعِية للحضارة على مرّ العصور، كما أنّها تُعَدّ إحدى أشكال اللّغة الموثوقة، وكلّما كانت هذه اللُّغة جيّدة وسليمة ومقنعة كلّما كانت مفيدة ومؤثّرة أكثر، وقد تنوّعت وتعدّدت مفاهيم الكتابة بحسب الأغراض المستخدمة من أجلها.

إنّ الكتابة عملية معقّدة، إذْ تتطلّب مجموعة متنوّعة من المهارات التي يجب أن يوظّفها الكاتب أثناء ممارسة الكتابة، ولقد خصّص القلقشندي جُزءًا مُهِمّا من كتابه "صبح الأعشى" لصِفات الكُتّاب وشروط اختيارهم، ومدى ثقافتهم وآدابهم، فذكر الشُّروط التّي يجب أن تتوفّر في الكُتّاب، وهي محصورة في عشر صفات:

– **الإسلام:** وذلك " ليُؤمَن فيما يكتبه ويُمليه، ويوثَق به فيما يَذَرُه ويأتيه، إذْ هو لسان المملكة المرهب للعدوِّ بوقع كلامه، والجاذب للقلوب بلطف خطابه، فلا يجوز أن يُوَلّى أحدٌ من أهل الكفر، إذْ يكون عينا للكفّار على المسلمين، ومُطلِعا لهم على خفاياهم، فيصلون به إلى ما لا يمكن استدراكه، وقد قال تعالى: { يا أيُّهَا الذِينَ آمنوا لَا تَتَّخِذوا بِطَانَةً مِن دونِكُم لَا يَلونَكُم خَبالا وَدّو ما عَنِتُّم قَدْ بَدَتِ البَغْضَاءُ مِنَ اَفْوَاهِهِم وَمَا تُخْفي صُدُورُهُم أَكْبَرُ} والمراد من البطانة في الآية من يطّلع على أحوال المسلمين"[1] فلذلك شُرِط في الكاتب أن يكون مسلما، وقد " رُوي أنّ أبى موسى الأشعري قدم على عمر بن الخطّاب رضي الله عنه ومعه كاتب نصراني فأُعجب عمر بخطِّه وحسابه، فقال عمر: أحضِر كاتبك ليقرأ، فقال أبو موسى: "إنّه

1 القلقشندي، صبح الأعشى، ج1، ص61–62.

نصراني لا يدخل المسجد "فزبره عمر رضي الله عنه وقال لا تؤمّنوهم، وقد خوّنهم الله، ولا تدنوهم وقد أبعدهم الله، ولا تعزّوهم وقد أذلّهم الله." [1]

فالإسلام من أجمل الصِّفات الكريمة التّي يجب أن يتحلّى بها الكاتب، لكي ينجح في مضمار الكتابة " ولاشكّ أنّ كاتب الإنشاء من أحوج النّاس إلى الاستشهاد بكلام الله تعالى في أثناء محاوراته وفصول مكاتباته، والتمثُّل بنواهيه وأوامره، والتدبُّرُ لِقوارِعِه وزواجِرِهِ، وهو حلية الرّسائل وزينة الإنشاءات، وهو الذي يشدّ قوى الكلام، ويُثبِّت صحّته في الأفهام، فمتى خَلت منه كانت عاطلة من المحاسن، عارية من الفضائل، لِأنّه الحجَّة التي لا تُدحض، والحقيقة التي لا ترفض"[2] فالكاتب إذا كان غير مسلم " لم يكن لديه من ذالك شيء، وكانت كتابته مغسولة من أفضل الكلام، وخالية ممّا يتبرّك به أهل الإيمان والإسلام، ومُقصِرة عن رتبة الكمال، ومنسوبة إلى العجز والإخلال ."[3]

-**الذكورة:** اشتُرِط في كاتب القاضي أن يكون ذكرا، "وإذا اشتُرِط ذلك في كاتب القاضي ففي كاتب السلطان أولى لما تقدّم من عموم النفع والضرّ به، وقد رُوِي أنّ عمر بن الخطّاب قال في حقّ النّساء "جنّبوهنّ الكتابة، ولا تُسكنوهنّ الغرف، واستعينوا عليهنّ بلا: فإنّ نعم تُضرِّيهِنّ في المسألة"[4]

ولعلّ بعض المرويات التّي أوردها القلقشندي في الدعوى إلى عدم تعليم النِّساء الكتابة أو اشتغالهنّ بها ضعيفة في السّند، لذا تجده أيضا يورد جملة من الأقوال تثبت فضل تعلّم الكتابة للنّساء وإن كان أوردها في سياق الجدل مُحاوِلًا دحضها، قال: "فإنْ قيل: قد كُنَّ جماعة من النّساء يكتبن، ولم يرد أنّ أحدًا من السّلف أنكر عليهنّ ذلك، فقد روى أبو جعفر

1 القلقشندي، صبح الأعشى، ج1، ص62.

2المرجع نفسه، ص63.

3 المرجع نفسه، ص نفسها.

4 نفسه، ص64.

النحّاس بسنده إلي عائشة أمّ المؤمنين رضي الله عنها، كانت تكتب في مكاتباتها بعد البسملة: من المُبرّأة بنت أبي بكر حبيبة حبيب الله"[1] ومن ذلك أيضا ما نصّه:"وحكى جعفر بن سعيد أنّه ذُكر لعمر بن مسعدة كاتب المأمون توقيعات جعفر بن يحيى فقال: " قرأت لأمّ جعفر توقيعات في حواشي الكتب وأسافلها فوجدتها أجود اختصارا وأجمع للمعاني " ... ومن كان هذا شأنه فكيف يقال لم يُأَهَّل للكتابة "[2]

يُجيب القلقشندي عن هذا الإشكال، مُنتصِرًا لرأيه في اشتراط الذُّكورة في الكاتب بقوله: " فالجواب أنّ حديث عائشة لم يصرّح فيه أنّها كتبت بنفسها ولعلّها أمرت من يكتب فكتب كذلك بإملائها بدونه، وإن ثبت ذالك عنها فغيرها لا يقاس عليها، ومن عاداها من النساء لا عبرة به "[3]

– **الحُرِيّة:** وهي صفة يقول صاحب ''صبح الأعشى'' يجب توافُرها في الكاتب ليكون ناجحا "فقد شرطوا في كاتب القاضي أن يكون حُرا، لما في العبد من النقص، فلا يُعتمد عليه في كلّ القضايا، ولا يوثق به في كلّ الأحوال، فكاتب السلطان كذالك بل أولى كما تقدّم."[4]

– **التّكليف:** " كما في كاتب القاضي فلا يُعوّل على الصبيّ في الكتابة إذْ لا وثوق به ولا اعتماد عليه."[5]

– **العدالة:** " فلا يجوز أن يكون الكاتب فاسقا فإنّه بمنزلة كبيرة، ورتبة خطيرة، يُحَكَّمُ بها في أرواح النّاس وأموالهم، لأنّه لو زاد أدنى كلمة أو حذف أيسر حرف أو كتم شيئا قد علمه أو

1 القلقشندي،صبح الأعشى،ج1، ص64.

2 المرجع نفسه، صفحها نفسها.

3 المرجع نفسه، ص64-65.

4 المرجع نفسه، ص65.

5 المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

تأوّل لفظًا بغير معناه أو حرّفه عن جهته، أدّى ذالك إلى ضَرَرِ من لا يستوجب الضرَرَ، ونفع من يجب الإضرار به، وكان قد موّه على الملك حتّى مدح المذموم وذمّ الممدوح، فمتى لم يكن له دين يحجزه عن ارتكاب المآثم و يزعه عن احتقاب المحارم، كان الضررُ به أكبر من الانتفاع، وأَثَّر فعله من الأضرار ما لم تأثِّره السيوف ولله القائل..."[1]، لِذا تُعَدُّ العدالة من أهمّ الصِّفات التّي يجب أن تتوفّر في الكاتب.

-**البلاغة:** بحيث يكون منها "بأعلى رتبة وأسنى منزلة، فإنّه لسان السُّلطان الذّي ينطق به، ويدّه التّي بها يكتب، ورُبّ كاتب بليغ أصاب الغرض في كتابته فأغنى عن الكتائب، وأعمل القلم فكفاه إعمال البيض القواضب، وإذا كان جيّد الفطنة صائب الرأي حسن الألفاظ، تأتّى له المعاني الجَزْلَة فَيَجْلوها في الألفاظ السهلة، ويختصر حيث يكون الاختصار، ويُطيل حيث لا يجد عن الإطالة بُدّا ويتهدّد فيملأُ القلوب روعة، ويشكر فيُلقى على النفوس مسرّة، وإن كتب إلى ملك كبير أو ذي رتبة خطيرة عظّم مملكة سلطانه، وفخّمها في معارض كلامه من غير أن يوجد بأنّ ذلك قصده "[2]

- **وفور العقل وجزالة الرأي:** يقول القلقشندي أنّ " العقل أُسُّ الفضائل وأصل المناقب، ومن لا عقل له لا انتفاع به، وكلام المرء ورأيه على قدر عقله، فإذا كان تامّ العقل كامل الرأي وضع الأشياء في مكاتباته ومخاطباته في موضعها، وأتى الكلام من وجهه، وخاطب كلّ أحد عن سلطانه بما يقتضيه الحال التي يكون عليها"[3] ومن أمثلة ذالك أنّ الكاتب " يشتدّ ما كانت الشدّة نافعة، ويلين حين يكون إلى اللّين محتاجا، ويوبّخ من لا يقتضي فعله أكثر من

1 القلقشندي، صبح الأعشى، ج1، ص65.

2 المرجع نفسه، ص66.

3 المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

التوبيخ، ويذمّ من تعدّى إلى ما يستوجب الذمّ ويأتي بالمُكاتبات التي يقتضيها اختلاف الأحوال واقعة مواقعها صائبة مراميها. "[1]

– **العلم بمواد الأحكام الشرعية والفنون الأدبية:** يقرِّر المؤلّف أنّ " الجاهل لا تمييز له بين الحقّ والباطل ولا معرفة تُرشده إلى الطُرق المُعتبرة في الكتابة، ومن سلك طريقا بغير دليل ضلّ، أو تمسّك بغير أصل زلّ "[2]

– **قوّة العزم وعُلُو الهمة وشَرَف النّفس:** فإنّه " يُكاتب الملوك عن مُلكه، وكلّ كاتب يَجْذِبْه طبعه وجبِلّته وخِيَمُه في الكتابة إلى ما يميل إليه، ومكاتبة الملوك أحوج شيءٍ إلى التّفخيم والتّعظيم وذكر التّهاويل الرّائعة والأشياء المُرغِّبة، فكُلّما كان أقوى نفسا وأشدّ عزما وأعلى همّة، كان في ذالك أمضى وعليه أقدر ومهما نقّص في ذالك نقّص في كتابته."[3]

– **الكفاية لما يتولّاه:** فالكفاية شرط أساسي للكاتب النّاجح " لأنّ العاجز يُدخِلُ الضرر على المملكة ويوجب الوهن في أمر المسلمين، وربما عاد عجزه بالوبال أو أدّى بهم ضعفُه إلى الاضطراب والاختلال ".[4]

كما أنّ للكاتب النّاجح صفات عديدة تُمَيِّزُه عن غيره من الكتّاب الذين اتّخذوا الكتابة مهنة للتكسّب، فيجب أن يكون "أديبا حاد الذِّهن، قويُّ النَّفسِ، حاضر الحسِّ، جيّد الحدس، حلو اللّسان، له جراءة يثبت بها الأمور على حكم البديهة، وله ثُؤَدة يقف بها فيما لا يظهر له على حدّ الرؤية، شريف الأنفة، عظيم النّزاهة كريم الأخلاق، مأمون الغائلة، مُؤدّب الخدّام."[5]

---

1 القلقشندي، صبح الأعشى، ج1، ص66.

2المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

3 المرجع نفسه، ص67.

4 المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

5 المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

ويُعدّد القلقشندي بعض الصفات الخَلْقية والخُلُقِية والمهارات التّي تفضل في الكاتب، يجمعها قول محمّد بن إبراهيم الشيباني "من صفة الكُتّاب اعتدال القامة، وصِغَر الهامّة وخفّة اللّهازم، وكثاثة اللّحية، وصدق الحسّ ولطف المذهب، وحلاوة الشّمائل، ولُطف الإشارة، وملاحة الزِّيّ، قال: ومن حاله أيضا أن يكون بهيّ الملبس، نظيف المجلس، ظاهر المروءة، عطر الرّائحة، مُسْتَفْرَه المركب، ولا يكون مع ذالك فضفاض الجثّة، متفاوت الأجزاء، طويل اللّحية عظيم الهامّة فإنّهم زعموا أنّ هذه الصفات لا يليق بصاحبها الذكاء والفطنة "[1]

إنّ القلقشندي يجمع في كلّ باب من صبح الأعشى أقوالا مختارة يبيّن من خلالها مذهبه وطريقته، مثل قول أبي الفضل الصوريُّ: "ينبغي أن يكون الكاتب فصيحا بليغا أديبا، سُنّيّ الرتبة، قويّ الحجّة، شديد العارضة حسن الألفاظ، له ملكة يقتدر بها على مدح المذموم وذمّ المحمود".[2]

وقد يَرُدّ المؤلّف على آراء غيره ممّا يراه مُجانبا للصّواب، ومن ذلك قوله: " قال المهذّب بن مماتي: نعمته على من هو في خدمته أو إخفاءها . قلت: وهذا قد يخالف ما تقدّم من أنّ ينبغي أن يكون الكاتب بهيّ الملبس وبالجملة ففصاحة اللّسان وقوّة البيان والتقدّم في صناعة الكتابة هو الذّي يرفع الرجل ويعظّمه دون أثوابه البهيّة، وهيئته الزّهِيّة، بل ربّما يكون التعظيم في الفضل لرثّ الحالة المنحطّ الجانب أكثر، وترجيحه على غيره أقرب "[3]

ومن الصُوّر المُفارقة التّي أوردها القلقشندي في كتابه من ملاحظة مدى الاستحسان الذّي يناله الكاتب من محصول صنعته وهيئته، جاء في صبح الأعشى قول سهل بن هارون كاتب المأمون، "وهو من أئمّة هذه الصِّناعة: لو أنّ خطبا أو تحدّثا أو احتجّا أو وصفا، وكان أحدهما جميلا بهيّان ولَبّاسا بهيا، وكان ذا حسب شريف، وكان الآخر قليلا قميئا: وباذّ

1 القلقشندي، صبح الأعشى، ج1،ص67-68

2 المرجع نفسه، ص68

3 المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

الهيئة دميما، وخامل الذكر مجهولا، ثمّ كلاهما في مقدار واحد من البلاغة، وفي درب واحد من الصّواب، لتصدّع عنهما الجمع وعامّتهم يقضي للقليل الذّميم على الّنبيل الجسيم، وللباذّ الهيئة على ذي الهيئة ويشغلهم التعجّب منه عن مناوأة صاحبه ولصار التعجّب على مساواته له سببا للتعجّب به، والإكثار في شأنه علّة للإكثار في مدحه، لأنّ النفوس كانت له أحقر، ومن بيانه أيأس، ومن حسدهّ أبعد، فلمّا ظهر منه خلاف ما قد رأوه وتضاعف حسن كلامه في صدورهم كبر في عيونهم لأنّ الشيء من غير معدنه أغرب وكلّما كان أعجب كان أبدع."[1]

عناصر الرّسالة الأدبية و شروطها:

لقد عرف البناء الهيكلي للرّسالة: "تطوّرات مختلفة خلال مسيرته في تاريخ الأدب العربي، إبتداءاً من رسالة عبد الحميد الكاتب إلى موسوعة أبي العبّاس القلقشندي مروراً بغيرهما من المؤلّفات التي نظّرت لهذا اللون الأدبيّ"[2]. كما نجد اهتمام كتّاب الرّسائل ببناء الرّسالة وعناصرها وشروط كل عنصر فيها و من أهمّ هؤلاء الكتّاب الذّين اهتمُّوا ببناء الرّسالة وأعطوا لها أهميّة كبيرة نجد كتّاب العصر المملوكي، ومن الكتب و المُؤلّفات التي شاعت في هذا العصر نجد صبح الأعشى للقلقشندي، هذا الأخير اهتمّ ببناء الرّسالة من حيث البدء بها، و كيفية الانتقال من غرض لآخر والخاتمة، و يقول القلقشندي أنّ أغلب الكتاّب في مُكاتباتهم يجب أنْ تشتمل رسائلهم على مقدّمة تفتتح الكلام وأوّلها البسملة[3]. وقد ذكر القلقشندي أنّه جرت العادةُ عند كُتّاب الرّسائل أنْ تشتمل الرّسالة على مقدّمة تَفتِح الكلام، فلصدر الرّسالة أهميّة خاصة لكونه يعتبر مُفتَتِح الخِطاب، لهذا يشترط فيه ما لا يشترطُ في

1 القلقشندي، صبح الأعشى، ج1، ص68-69

2 بن غوتى خيرة و عبد اللاوى فتيحة، فن الترسل في العهد الرستمي، رسالة ماجستير، كلية الآداب و اللغات، جامعة تلمسان، 2013-2014م، ص34.

3ينظر: رشا فخري النحال، فنّ الرسائل في العصر المملوكي- دراسة تحليلية، رسالة ماجستير،كلية الآداب ، الجامعة الإسلامية-غزة، 2013م، ص116.

غيره لأنّه إذا كان الابتداء حسناً بديعاً و مليحاً رشيقاً، كان داعية إلى الاستماع لما يجيء بعده من الكلام"[1]، ويُؤكّد ذلك ابن أثير صاحب « المثل السّائر »على أهمِّية المطلع في الكتابة "فيقول: (الأوّل) أنْ يكون مطلع الكِتاب عليه حدّةً ورشاقةً فإنَّ الكاتب من أجاد المطلع أو يكون مبنيًّا على مقصد الكتاب، ولهذا باب يُسمّى باب الافتتاحات[2]، والابتداء أنواع إذْ يُمكن أنْ يكون بِ:

-**البسملة:** تُكتب البسملة "قبل البعثة في أوّل كتبِها «باسمك» ولمّا جاء القرآن الكريم استفتح بها رسول الله وأصبحتْ سُنّة بعده، ويتجلّى ذلك في قوله تعالى: «إنّه من سليمان وإنّه بسم الله الرحمان الرّحيم» ،و قول الرّسول(ص): « كُلّ أمَرٍ ذي بالٍ لا يبدأ فيه ببسم الله الرّحمان الرّحيم فهو أقطعْ» [3]، فيجب تقديمها في أوّل "الكلام المقصود من مُكاتبة أو ولاية أو منشور إقطاع وذلك للتبرّكِ والتَّيمُّنِ»[4]،ومثال ذلك " رسالة الشيخ جمال الدّين بن نباته في رسالته النّي كتبها إلى كُتّاب ديوان الإنشاء بالشّام في مباشرة الشّيخ شِهاب الدّين محمود الحلبي"[5]، وعند الحديث عن موقع البسملة في الرّسالة أنّها كانت تَرِدُ عادةً في البِداية ولا يتقدّمُها أيّ كلام آخر، وعدّت أوّل عناصر الرّسالة، فقد أشار الُنقّاد إلى ضرورة "إفراد البسملة في سطر وحدها تبجيلاً لاسم الله تعالى وإعظاماً وتوقيراً له"[6]، أمَّا العُنصر الثّاني في بناء الرّسالة فيتمثّل في:

---

1 أبو هلال العسكري، الصناعتين، تح علي محمد البجاوي و أبو الفضل إبراهيم، عيسى البابلي الحلبي و شركائه، د.ت ،ص 496.

2 ابن الأثير، المثل السّائِر، تح: بدوي طبانة وأحمد الحوفي، ط2، دار النّهضة، القاهرة، ص29.

3 أبو العباس القلقشندي، صبح الأعشى،ج5، ص217.

4 المرجع نفسه، ج6، ص222.

5 المرجع نفسه، ,ص223.

6المرجع نفسه، ص224.

-**العنوان:** يُعدُّ العُنوان عُنصُراً مُهِمًّا من عناصر الّرسالة، فَبِهِ تُبنى مُقدِّمات الرّسائل ويذكر فيه اسم المرسل والمرسل إليه. ولقد تنوّعت الرّسائل واختلفت في هدا العصر بالتّحديد العصر المملوكي حول وضع العنوان فهُناك رسائل كان من بداية نصِّها من فُلانْ إلى فُلانْ، ومثال ذلك: كما كتب بعضهم إلى والده "إلى مولايْ المُعظَّم، وأبي الُمتكفّل بتعليمي وحُسن أدبي، أبقاهُ الله ناضِرًا إليَّ بعين رضاه، وأعانني على الجَرْيِ في برّه على حكم الشّرعِ القَويمِ ومُقتضاه ..."[1]، فيرى أبو هلاّل العسكري في كتابه "الأوائل" أنّ أوّل "من كتب بهده العبارة «من فلانْ إلى فلانْ» هو قُسْ بن ساعدة الإيّادي"[2]، وقد أُخِذتْ كلمة العُنوان "من لفظة عُنوان بِضَمِّ العين وجمع عُنوان عناوين، وعلوان على علاوين، ويُقال: عَنونْتُ الكِتابَ عنونةً وعَلْونتُه علونةً، وقد اختلف الكثير في اشتقاقه: فمَنْ قال عُنوان بِعِلَّه مأخوذا من العُنوان بمعنى الأثر، لأنّ عُنوان الكِتابَ اثر لبيان ممن هو والى من هو .وبعضهم آخر يزعم أنّ العنوان مأخوذ من قول العرب :عنت الأرض تَعنُوا إذا أخرجتْ النّبات، وأعناها المَطرُ إذا أظْهَر نباتها وقال في "مواد البيان" العنوان كالعلامة"[3]، وهو دال على مرتبة المكتوب إليه من المكتُوب عنه، والمعنى المُراد فيه الإخْبار عن اسمها حتّى لا يكُون الكِتاب مجهولاً، والمُراد أنّهُ يكتب فيه من «فلانْ إلى فلانْ» أو «لفلان من فلان» قال: ولم يزالوا "يُكاتبون بأسمائهم إلى أنْ وَلِيَ عمر بن الخطاب رضي الله عنه الخلافةَ ولُقِّبَ بأمير الُمؤمنين فكتب: "منْ عبد الله أمير المؤمنين عمر بن الخطّاب"[4].

ثُمّ وقع الاصطلاح على "العنونة للرُّؤساء و النُّظراء والمرؤوسين والأتباع بالأسماء و قال في« معالم الكتابة» و لا يكثر النّعوت ولا الدُّعاء على العنوان للسُّلطان ولا للكبراء، أمّا الأعلى إلى الأدنىْ فحسنٌ، وقد تقدّم في مقدّمة الكتّابِ أنَّ صاحب ديوان الإنشاء هو الذّي

1القلقشندي، صبح الأعشى،ج8، ص157.

2المرجع نفسه، ج6 ، ص327.

3المرجع نفسه، ص348.

4المرجع نفسه، ص349.

يُعنْونُ الكتب السّلطانيّة، وأنّها كانت لا تُعنون قبل كتابة السّلطان عليها علامته، الذّي استقرّ عليه الحال في كُتب السّلطان وما في معناها من المُشتّملة على الألقاب أنْ تكتب الألقاب في العنوان "[1] ، فالعنوان أن يكون من الرّئيس إلى المرؤوس قد ذكر في صناعة الكتاب أنّ العنوانات من الوزير و القاضي وغيرهما من الرُّؤساء على تسعِ مراتب:أن يكتب في الجانب الأيمن لأبي فلان أطالَ الله بقاءه وأعزَه، وفي الجانب الأيسر من فلانِ بن فلان باسم الوزير واسم أبيه إنْ لم يكنّه الإمام وأنْ يكتب في الجانب الأيمن لأبي فلان أطال الله بقاءه فقط، وأنْ يكتُب في الدُّعاء للمكتوب إليه، أدام الله عزّه، أمّا ابن حاجب النّعمان في ذخيرة الكتَابِ يقول:إنه يبدأ في الجانب الأيمن بذكر المكتوب إليه و نعوته و كنيّته واسمه واسم أبيه و نسبه المشهور من ناحيته أو قبيلته أو بلده ثمُّ يذكر المكتوب عنه في الجانب الأيسر باسمه واسم أبيه، فإنْ كان الكتاب عن الوزير، ذكر كنيته في الجانب الأيسر،إن كان الإمام أمره أن يكاتب مُتكَنِّياً أو مُتلّقباً» [2]

-**الحمدلة:** تُفتتح الرّسالة في بدايتها بالبسملةِ وكذلك يجب أن تُفتتح بالحمدلةِ فيحمد الله عزّ وجلّ على نِعمه الكثيرة و آلائه العميمة التّي توجب الحمد و الشّكر، فالحمدلة مطلوبة للتيمُّن و التّبرُّك، "و يجب على الكُتاّبِ في مُكاتباتهم أن يراعى فيها براعةُ الاستهلال في الافتِتاح و أنَّ الافتِتاح فيها بِ التّحميد لله "[3]، و قد اصْطلحَ الكُتّاب على "الابتداء بها في الكثير ممّا يكتبونه من المُكاتبات و الولايات و غيرهما"[4] وهذا يُوافق قول الرّسول صلّى الله عليه وسلّم: "كُلّ أمرِ ذي بالِ لا يبدأُ فيه بحمد الله فهو أجذمْ"[5]، وأمّا سائر المكاتبات والولايات المُفتتحة بغير الحمد، فإنّما حُذِف منها الحمد استصغاراً لشانها، ولقد نبّهَ أبو هلاّل العسكري على أهميّة التّحميد وأثره في النُّفوس فقال: "إذا كان الابتداء حسناً بديعياً ولمحاً رشيقاً كان داعيةً إلى الاستماع يجيء بعده من الكلام لهذا جعل أكثر الإبتداءات بحمد الله لأن النّفوس تتشوّق

1 أبو العباس القلقشندي، صبح الأعشى، ج6، ص 351.

2 المرجع نفسه، ج8، ص144.

3 المرجع نفسه، ج12، ص282.

4 المرجع نفسه، ج6، ص224.

5 سنن ابن ماجة، تح محمد عبد الباقي ، دار إحياء ، د.ت ، ص610 .

للثّناء على الله فهو داعيةً إلى الاستماع"[1]، فبراعةُ الاستهلال في المُكاتباتِ قد تقع مع الابتداء بالتّحميد، كما "كتبَ عمرو بن مسعدة المتقدِّم ذكره، وكما كتبَ أبو إسحاق الصّابي عن الطّائع إلى بعض وُلّاة الأطراف، عند زوال الوحشة بينه وبين الأمراء، ووُقوع الصُّلح والاتّفاق : «أمّا بعد فالحمد لله ناظم لشمل ،بعد شتاته و أوصل الحبل بعد بناتهِ، و جابر الوهن إذا ائتلّم، و كاشف الخطب إذا أظلّم" [2] فالحمدلة في العصر المملوكي لم تقتصِر على الرّسائل السِّياسية فقط بل وجدت في مقدّمات الرّسائل العلميّة و الرّسائل الاجتماعيّة، "فمن الرّسائل العلميّة إجازة علميّة بالتّدريس و هي إجازة سراج الدّين بن الملقن لتلميذه القلقشندي"[3]، و من الرّسائل الاجتماعيّة رسالة "مدح كتبها القلقشندي يمدحُ المقرّ الفتحي أبو المعالِي فتح الله "[4].

– **الصّلاة والسّلام على النّبي (ص)** : لقد اهتّم الكُتّاب في العصر المملوكي بذكر الصّلاة علي النّبي(ص) في رسائلهم بل زادوها جمالاً في بعض الرّسائل عندما شهدوا بالوحدانيّة و لِنبيّهِ بالرّسالة والنُبوّة و يزيدون جمال تلك الشهادة بالصّلاة والسّلام على الرّسول (ص)، و يشير القلقشندي لهذا المعنى بقوله "فإذا أُتيَ بالحمد أوّل الكِتاب تناسب أنْ يؤتى بالصّلاة على النّبي (ص) في أوّله ،إتياناً بذكره بعد ذكر الله تعالى".[5]

كما نجد الأحاديث النبويّة تحدّثتا على ذلك للتّيمُّن و التبرُّك و ذلك قوله تعالى: «إنّ الله و ملائكتهِ يصّلونَ على النّبي يأيّها الذين آمنوا صَلوا عليه و سَلموا تسليماً »، «فالصّلاة و السّلام تكون بعد التحميد في صدور المكاتبات وقد جعل السّلام في ابتداء الكتب وصدورها لأنه تحيّة الإسلام المطلوبة لتأليف القلوب، إذ يقول رّسول (ص):«ألا أنبئكم بشيء إذا تحاببتم ! أفشوا السّلام بينكم"[6] ، وصار الكتّاب يبتدئون مكاتباتهم بنحو سلام الله ورحمته و

---

1 أبو هلال العسكري، الصناعتين، ص131.

2 أبو العباس القلقشندي، صبح الأعشى، ج6، ص227.

3 المرجع نفسه ، ج 14، ص 323.

4 المرجع نفسه، ص 191.

5 المرجع نفسه، ج6، ص218

6 المرجع نفسه، ص227.

بركاته، يقول أبو هلال العسكري: "وتقول في أوّل كتابك:« سلام عليك» وفي آخره« و السلام عليك» و جعل ابن حاجب النّعمان من ذلك قول عبدة بن الطيّب"[1] :

عليك سلام اللهِ قيس بن عاصم *** و رحمتُه ما شاء أن يترحّماَ

-**التخلّص:** ونقصد به الانتقال من مقدّمة الرّسالة إلى الموضوع أو الغرض المطلوب "وقد سار الكتاّب على استعمال (أمّا بعد) منذ العصر الإسلامي، وكذا سار كُتّاب العصر المملوكي على استخدام (أما بعد) لينتقلوا من مقدّمة الرّسالة إلى موضوعها "[2]، وتستعمل العبارة «أمّا بعد» في صدور "المُكاتبات و الولايات،و مثال ذلك، فنقول:أمّا بعد أطال الله بقاءك! فإني قد نظرت في الأمر الذّي ذكرته"[3]، ونجد بعض الكتّاب استعملوا ألفاظ و عبارات في صدور رسائلهم يكون الغرض منها ربط الصّدر بالمقاطع الأخرى من الرّسالة، ومن ذلك استعمال عبارة «أمّا بعد».

- **موضوع الرّسالة أو الغرض:** يُعدُّ أهمّ جُزء من أجزاء الرّسالة، وهو أساسي، ويُعدُّ العنصر الثّالث في الرّسالة، ونقصد به مضمون الرّسالة فنجد الكاتب يبدأ ببسط أرائه و أفكاره و يسرد الموضوع الذي من أجله بدأ الرّسالة، "ولذا يحرص الكتّاب على التمهيد له، و حسن عرضه و تقديمه، فأغراض الرّسائل تختلف من نوع لآخر مثلا في الرّسائل الإخوانية الغرض (هو المدح أو العتاب أو الشكوى أو الرّثاء أو التعزيّة)"[4].

وقد كان الكاتب في موضوع الرّسالة "يترك له المجال للحديث فيستخدم ألفاظاً واضحةً جليّةً بعيدة عن الغموض ومن ذالك: رسالة أمان كتبها المنصور قلاوون للتُجّار الذّين يصِلون إلى مصر، فالقارئ لتلك الرّسالة يستكشف من ألفاظها وعباراتها أنّه قد

1 القلقشندي، صبح الأعشى، ج6، ص267_268.

2 رشا فخري، فن الرسائل في العصر المملوكي- دراسة تحليلية، مذكرة ماجستير، كلية الآداب، الجامعة الإسلامية، غزة، 2013-2014م، ص117.

3 المرجع السابق، ج6، ص231.

4 فايز القيسي، أدب السائل في الأندلس في القرن الخامس الهجري، ص279.

أعطاهم الأمان لدخول مصر من أيّ بلدٍ كانوا، وحثّهم على التّجارة وجلب الممالك معهم مع الوعد بشرائهم لتكثير الجنود، فقد كانت ألفاظ الرّسالة تُقدِّم موضوع الرّسالة وهو الأمان"[1].

-**الخاتمة:** فهي العنصر الأخير من عناصر الرّسالة، وقد اعتنى الكُتّاب في رسائلهم بحُسن الخاتمة حيث يقول أبو هلاّل العسكري من كتابه الصّناعتين "والابتداء أوّل ما يقع في السّمع من كلامك والمقطع الآخر أي الخاتمة ما يبقى في النّفس من قولك فينبغي أن يكونا موقنين"[2].

فأعطى الكُتّاب إذن اهتماماً كبيراً في رسائلهم للصّدر والخاتمة لأنّهما عنصران مُهِمّان في رسائلهم، وقد أطلق عليها بعض القدامى بالمقطع، "فخواتم الرّسائل هي آخر شيء فيها، ويُشترط في الاختتّام ماُ يشترط في الابتداء من جودة وحُسن، لأنّه آخر ما يتبقى في الأسماع "[3]، وقد نبّه النُقّاد على ضرورة ارتباط الخاتِمة بالموضوع، ولقد كان اهتمام الكُتّاب في المماليك بخواتيم الرّسائل نابعاً من الاهتمام بالمُقدِّمات، فعندما تكون الرّسالة رسالة عهد تُختتم بوصايا لتكون فخراً وذكراً للمعهود إليه، ثُمّ حمداً لله والصّلاة على رسوله وعبارة حسبنا الله ونعم الوكيل كعهد السّلطان محمد قلاوون، الحمد لله وحده وصلواته على سيِّدنا مُحمّد وآله وصحبه وحسبنا الله ونعم الوكيل"[4].

وتتألّف الخاتمة من عناصر متنوّعة، ومنها:

الدُّعاء: فيجب أن تفتتّح المكاتبة "بالدُّعاء قصداً للإجلال والإعظام، ويكون الدّعاء إمّا بإطالة البقاء، وإدامة العزّ وغيرها من المقاصد"[5].

---

1 القلقشندي ، صبح الأعشى، ج 13،ص 34.

2 أبو هلال العسكري ، الصناعتين، ص494.

3محمد توات، أدب الرسائل في المغرب العربي ,ص381 .

4 القلقشندي ، صبح الأعشى، ج 10،ص 59.

5 المرجع نفسه، ج8، ص 127.

وتختتم المكاتبات للكتّاب بأنْ يختم الدّعاء وذلك كقول: "أبي المطرف بن الدبّاغ، والله لا يخلي مولاي من عبد يشرفه، ومنعم ينعم عليه بما يستحِقّه، وجميل يوليه ووضع يسديه، يمنه وجميل صنعه"[1]، فالافتّتاح بالدُّعاء هو أكثر ما يقع في مكاتبتهم. إلى جانب هذا العنصر نجد عنصراً آخر وهو من ضمن عناصر الخاتمة ويتمثّل في: السّلام وهو تحيّة الإسلام المطلوبة لتأليف القلوب " ولذلك يُشير أحد الكُتّاب اكتب في أوّل كتابكَ «سلام عليك» واجعله تحيّة، وفي آخره والسّلام عليك واجعله وداعاً"[2]، ويشترط في خواتم المكاتبات للكتّاب "أنْ يختم بالسّلام ومثال ذلك أبو عمرو الباجي في خاتمة كتابه: واقرأ عليك سيّدي، وأنسى عُدَدى، أجزل السلام وأحفله وأتمّه وأكملَه"[3]، وكذلك يجب على الكُتّاب في مكاتباتهم أنْ يختتموا بالتّحميد: ولقد جعل الله سبحانه وتعالى الحمد مفتاحاً للأمور تبرُّكاً وتيمُّناً بالافتّتاح به، كما جعله ختاماً لها قال تعالى:« وقُضي بينهم بالحقِ وقيل الحمدُ لله ربّ العالمين» , وقد اصطلح الكتّاب على اختّتام مكاتباتهم و رسائلهم بالحمد تبرُّكاً و تيمُّناً"[4]، وذلك في كتاب عمرو بن مسعدة المتقدِّم ذكره، وكما كتب أبو إسحاق الصّابي عن الطّائع إلى بعض وُلاّة الأطراف، عند زوال الوحشة بينه وبين الأمراء، ووُقوع الصُّلح والاتِّفاق: "أمّا بعد فالحمد لله ناظم الشّمْل بعد شتّاته،وواصل الحبل بعد بَناتِه، وجابرِ الوهن إذا انْثلم، وكاشف الخطب إذا أظلم"[5] وكما يجب أنْ تختم المُكاتبات " بذكر التودّد و المحبّة، كما كتبَ أبو جعفر الكاتب: وإنْ لم يكن لي من الحقِّ مالا أتبسّط به عليه، فلي من الودّ ما أمُتُّ به إليه، فحسى به سلّما

1 القلقشندي، صبح الأعشى، ج 6 ، ص 159.

2 المرجع نفسه، ص 229-230.

3 المرجع نفسه، ص 159.

4 المرجع نفسه، ص 266.

5 المرجع نفسه، ص 277.

إلى فضلك، وذريعةً إلى مجدك، وكما على الكتّاب في مكاتباتهم أن يختم باستماحة النّظر في أمر المكتوب عنه "[1] .

1القلقشندي، صبح الأعشى، ج6، ص 159.

الفصل الثانـي

أنواع الرسائل في "صبح الأعشى"

أنواع الرّسائل في كتاب "صبح الأعشى":

قد احتلّتْ الرّسائل حيِّزًا مِنْ اهتمام الأُدباء و المُوظّفين والأصدِقاء و الأحِبّاء، ومن العادة أنْ تُقْسَم الرّسائل إلى إخوانية و ديوانية :

1- الرّسائل الإخوانية :

وهي ضرب من ضُرُوب الكتابة، يُعبِّر فيه الكاتب عمّا يكنّ في صدره اتِّجاه صديق له ،سواء كان أقلّ منه رُتبة، أو أعلى منه أو نظير له، من عواطف وأحاسيس ومشاعر، تظهر في المُناسبات المُختلِفة التّي يعيشُها الإنسان، ولِكُلِّ مُناسبة نوعُها الخاص من هذه الرّسائل ،يُعرِّفُها القلقشندى بِقوله: "الإخوانيات جمع إخوانية نِسبة إلى الإخوان، والمُراد المُكاتبات الدّائرة بين الأصدِقاء."[1] وقد صنَّفَها إلى سبعة عشر نوعاً هي: التّهاني، والتّعازي ،الشّفاعات، والتشوُّق، والاستزارة، واختطاب المودّة، وخطبة النِّسا، والاستعطاف والاعتِذار ،والشّكوى، واستماحة الحوائج، والشكر، والعتاب، والسُّؤال عن حال المريض، والأخبار ،والمُداعبة. و الكاتب فيها مُطلق العنان لا يتقيّد بمُصطلح، أو رسم فيظهر ما لديه من قُوّة أو ضُعف، فإنْ كان "ماهِرًا، أغْرَبَ في معانيها، ولطَّفَ مبانيها، وتسهّل لهُ فيها ما لا يكاد يتسهّل في الكتب التّي لها أمثلةٌ و رُسومٌ، لا تتغيّر ولا تتجاوز"[2].

وجاءت الرّسائل الإخوانية على اختلاف أنواعها على ضربين: الأوّل: "الرّسائل الإخوانية شبه الرّسمية، وهي تلك الرّسائل التّي تحتفظ بالبُعد الاجتماعي بين الكاتب و المخاطب، أي أنّها تِلك الرّسائل التّي يتبادلُها الخليفة أو الأمير أو الوزير يرمع من دُونه في المنزِلة الاجتِماعِية في أُمور خاصة. وثانِيتهما: الرّسائل الإخوانية الذّاتية، وهِي التّي تتناول ما يدُور

1 القلقشندي ، صبح الأعشى، ج8 ،ص126

2 المرجع نفسه، ج9، ص05

بين الأصدِقاء مِن عِتاب وشوق وعزاء وما إلى ذلِك من العواطِف."[1] ولِمَا اتّصَفَ هذا النّوع من الرّسائِل بالتنوُّع لتعدُّد موضُوعاتِها، فقد ارتأى القلقشندي دِراسة كُلّ نوع منها على انفِراد:

- التّهاني:"

كُتُب التّهانِي من الكُتُب التِّي تظهر فيها مقادير أفهام الكُتّاب ومنازِلهم من الصِّناعة ،ومواقعهم من البلاغة. وهِي من ضُروب الكِتابة الجلِيلة النّفِيسة، لِما في التّهنِئة البليغة من الإفصاحِ بقَدْرِ النِّعمَةِ، والإبانة على موقِع الموهِبة، وتَضاعُف السُّرور بالعطيّة، وأغراضها ومعانيها مُتَشَغِّبَة لا تقِفُ عِند حدٍّ، ولما كان هذا النّوع مِن المُكاتبات لا يُقَيِّدُه فوارِق اجتِماعيَة، إذْ قدْ يَكْتُب الرَّئِيس إلى مرؤُوسه، أو يكتُب المرؤوس إلى رئيسه، بِما يَطْرَأُ مِن مُناسبات تسْتوْجِبُ ذلِك، فإنّ القلقشندي يُنَبِّه على الكُتّاب مُراعاة مرتَبة المكتُوب إليه والمكتُوب عنه في الرِّسالة اللّائِقة بِهِما، إذْ أنّهُ لا تسامُح بمِثلِ هذا"[2]، ومِنْ ذلِك رِسالة نظَّمَها يُهنِّئ فيها المقر البدري محمود الكلستاني الشَّهير بِالسراي باستِقراره في كِتابة السرّ الشَّريف في سلطنة برقوق، في الدّولة الظّاهِرية بِالدِيّار المِصْرِية، يقُول فيها:

"رفعْتَ للمجْدِ مُذْ وُلِّيْت بنيانَا *** وشِدْتَ للفضلِ بعد الوهن أركانَا

و أصْبح الملِك في زَهْو، ومالكه *** يميسُ عُجْباً، وهَنَّا التّختُ إيوانا

قَدِمْتَ مِصرَا فأمْسَتْ منك في فَرَحٍ *** تهزُّ بالبشر من لُقياك أردانَا

وغُودِرَ النِّيلُ مُذْ وافَيْتَ مُبْتَهِجًا *** وقد رمَى الصدُّ والإبْعادُ جَيْحَانَا" [3]

1 فايز عبد النبي القيسي، أدب الرّسائل في الأندلس، ص100

2 القلقشندي، صبح الأعشى، ج9، ص05-06

3المرجع نفسه، ص22

وثمّة تهنئة نظّمها أيضا للمقرّ الأشرف النّاصريّ محمّد بن البارزي، صاحب دواوين الإنشاء الشّريف بالممالِك الإسلامِية في الدّولة المُؤيّدية "شيخ" بمُناسبة عيد الفطر، بعد أن قضى للقلقشندي حاجة كان سألهُ إيّاها.

" سألتُ نِظَامَ المُلكِ كاتِبَ سِرِّه *** إرالةَ ضَنْك أَرْهَفَ الدَّهرُ حَدَّه

فمَنْ بجاهٍ زعْزعَ الأرضَ وقْعُه *** وجادَ بمالٍ لا يُرى الفقرُ بعدَهُ

وبالبارزِيّ اردانَ وصفُ مكارِمٍ *** فأشبهَ في فضلٍ أباه وجَدَه

فيهناهُ صومٌ ثُمّ عيدُ مسرَّةٍ *** و طالِعُ إقبالٍ يُقارِنُ سَعدَهْ

و رفعُ دُعاءٍ لا يُغِبُّ تتابُعًا *** وطيبُ ثناءٍ خَامَرَ المِسْكُ نَدَّه"[1]

- التّعزية:

التّعزية من الأغراض التّي تناولها الكُتَّاب في رسائلهم، وتُصوّر تلك الرّسائل المُصاب الأليم و مالَهُ من وقعٍ عظيم على النُّفوس، وغالِبًا ما تتضمّن معاني الدّعوة إلى الصّبر والتّسليم بقضاء اللّه و قدره، والتّخفيف عن أهل الفقيد وذكر محاسن الميِّت، ومن رسائل التّعزية رسالة كتبها شهاب الدّين محمود الحلبي لأحد الأشخاص يُعزّ به بوفاة ولده: "رزقه اللّه تعالى ثباتا على رَزِيَّته وصبرا، وجعل لهُ مع كُلِّ عُسْرٍ يُسْرَا وأبقاهُ مُفدًّى بالأنفُس و النّفائس، وكان لهُ أعظمَ حافظٍ من نُوَبِ الدّهر وأحلَّ حارس.

المملوك يُنْهي علْمَه بهذه النّازلة التّي فتّتتِ القُلوبَ والأكباد، وكادت أن تُفرّقَ بين الأرواح و الأجساد وأذالتْ ذخائِرَ العُيون، وابتذلت من الدّمائِع كلّ مصُون وأذابتِ المُهج تحرُّقًا

1 القلقشندي، صبح الأعشى، ج9، ص45.

وتلهُّبًا، وجعلت كلّ قلب في نارَيِ الأسى والأسفِ مُتقلِّبا، وهي وفاة ولده الذّي صغُر سنُّه، وتزايَدَ لفَقْده هَمُّ المُلوك وحُزنُه:

ونجلُك لا يُبْكى على قدرِ سِنِه *** ولكن على قدر المخيلة والأصل

وكان الأملُ يُحدّث بأنّه يشُدّ للمولى أزْرَه، ويشرح ببرِّه صدْرَه، و يؤثِّل مجدَه، ويُبقى الذكْرَ... "[1]

- المدح :

وتُعدُّ من أهمّ الرّسائل حيث يُظهر الكاتب فضل الممدُوح وكريم خصاله، ومن رسائل المدح رسالة كتبها القلقشندي في مدح القمر الفتحي أبي المعالي فتح اللّه صاحب دواوين الإنشاء الشّريف بالديّار المصرية لحُصوله على وظيفة صاحب ديوان الإنشاء، فمُدح لذلك، ومنها: "الحمد للّه الذّي جعل الفتح محطَّ رِحالِ القرائِح الجائِدة، ومستقر نواها، ومُحيط دائرة الأفكار الواردة، ومركز شُعاع كُواها، ومادة عناصر الأفهام الجائِلة، وعِتاد شكيمة قُواها نحمُدُه على أن خصّ المملكة المصرية من إيداع سِرِّها المصُون ... "[2]

ومن رسائل المدح أيضا تلك التّي كانت تُكتب على القصائد المنظُومة، حيث إذا نظم الشّعر قصيدة وأجاد فيها كتب أهل الصِّناعة يمدحُون فيها، منها رسالة كتبها المقرّ الشّهابي بن فضل اللّه العمرى يمدح فيها قصيدة ميمية للشّيخ صلاح الدّين الصّفدي، ومن تلك الرّسالة: "وقفت على هذه القصيدة التّي أشرقت معانيها فكانت تُرى[...] وحُبًّا يقول به لمن قصد المُساواة به: لو كُنتُ مُتَّخِذًا خليلًا لاتّخذتُ فُلانًا خليلًا:

مُدَبِّر المُلكِ لهُ *** على العُلى مقاعِدُ

1 القلقشندي، صبح الأعشى، ج9، ص82

2 المرجع نفسه،ج14، ص191-192

تهْوِى إلى جَنَابِه ال *** قُصَّادُ و القصائِدُ" [1]

-العتاب :

هي تلك الرّسائل التّي "تدور حول عتاب الكاتب للمُخاطب في أمر ساءهُ منه أوجبَ عِتابه له، وتتباين صُور العتاب بين اللّين والرِّقة والقُسوة، وذلك بحسب نفسية الكاتب وحالته والغرض الذّي استثارهُ فدَبَجَ رسالته فيه."[2] وفيها تُنتَقى الكلمات بعناية لأحياء رسم الصّداقة الذّي تعرّض لبعض الفتُور، "ويبدأ هذا النّوع من الرّسائل عادة بالحديث عن عهد الصّداقة المُنصرم و تذكُّر أيامه وملاذه."[3]

ويُمثِّل العتاب أهمّ المظاهر الاجتماعية التّي عبّرت عنها وجسّدتها الرّسائل الإخوانية، ومن بين هذه الرّسائل رسالة كتبها شهاب الدين محفوظ، وقد ذكر فيها محاسن صديقه الذّي يُعاتبه: "ويُنهى أنّهُ مازال يتلو آياتِ محَاسِنِه وحمده، ويرفعُ راياتِ إحسانِه و مجدِه، ويتولّاه ولا يتولّى عن محبّته، ويُكثِر الثّناءَ على أَلْمَعِيٍّ فطنته وجزيل مُروءته، وقد صار يُشاهد من المولى ملالًا و صُدودًا، وإعراضًا يغيظ به صديقًا ويسرُّ به حَسُودَا، واطِّراحا أوهمه أنّهُ ألفُ وصلٍ دُرِجَتْ، أو لفظة هُجْر لُفِظتْ، ولا يعرف لهُ ذنبا يُوجِب إبعاده، ولا جُرما... ورأيه العالي شعر في العتاب:

مولاىَ قد طالَ التّباعُدُ بيننا *** أو ما سئِمتَ قَطيعتي وملالي

إن لم تَرِقَّ لِحالتي يا هاجِرى *** مولاى قُل لي منْ يرقُّ لحالي"[4]

---

1 القلقشندي، صبح الأعشى، ج 14 ،ص336-337

2 فايز عبد النبي فلاح القيسي، أدب الرّسائل في الأندلس،ص101

3 العربي سالم الشريف، دراسات في الأدب الأندلسي، دار شموع الثقافة للطباعة و النشر والتوزيع،ط1، 2003م، ص223

4 القلقشندى، صبح الأعشى، ج9، ص197

فالعتاب يُمثِّل أهمّ المظاهر الاجتماعية التّي عبّرت عنها وجسّدتها الرّسائل الإخوانية.

- التّهادي و المُلاطفة :

من موضوعات الرّسائل الإخوانية التّي "يجب أن تُودَع من الألفاظ المُستحسنة ما يُمهّد لِقَبُول المُلاطفة والمَبَرَّة التّي تتميز في المودّة، وينبغي أن يُطرِف الكاتبُ إذا كان مُهدِيا أو مُسْتهدِيا."[1] وهذا ما ذكره القلقشندي، مثل: "ما كتبه الشّيخ جمال الدّين بن نباته إلى كاتب السرّ بالأبواب السُّلطانية صحبَةَ تقدِمَة من نائب الشام إلى السُّلطان:

لازلتْ أقلامُها لَنتائج الفضل مُقدِّمه، ولَمراكض الكرم والبَأْس جيادًا مُسوّمه، ولكَتائب الملك من كُتبه أعلامًا بشعارها العبّاسي مُعْلَمه، وفي يد صاحبها من أصحاب... ملابس السُّلوان المحرَّم مُحْرِمه."[2]

- الشّفاعات و العنايات :

وهي رسائل أنشأها الأُدباء، والغاية منها العفو عن إخوانهم والأخذ بأيديهم و الشّفاعة لهم عن ذنوب ارتكبوها، ويصدر هذا النّوع من الرّسائل "عن ذوي الرُّتب و الأخطار، والمنازل والأقدار، الذّين يتوسّل بجاههم إلى نيل المطلوب ودرك الرّغائب."[3]

ويحتاج الكاتب في هذا النّوع من الرّسائل إلى التلطُّف، وإيداعهما من الخطاب ما يخرج به الشّافع عن صُورة المثقّل على المشفوع إليه بما كلّفه إيّاه، ويُؤدّي إلى بُلوغ غرض المشفوع له ونجاح مطلبه، ويجب أن تسلك هذه الرّسائل مسلك الإيجاز والاختصار، وأن

1 القلقشندي، صبح الأعشى، ج9، ص100.

2 المرجع نفسه، ص101.

3 المرجع نفسه، ص124.

يسلك به مسلك الرِّقاع القِصار المجملة، لا الكتب الطِّوال المفصلة، وأن يرجع فيما يودعه إلى قدرِ الشّافع والمشفوع فيه"[1].

ومن الأمثلة على هذا النّوع من الرّسائل، الرّسالة التّي كتبها عمرو ابن مسعدة وزير المأمون إلى المأمُون في رُقعة:

"أمّا بعد، فإنّ فُلانا سألني أن شفع لهُ إلى أمير المؤمنين، فأخبرته أنّي لم أبلُغ عند أمير المُؤمنين، مبلَغَ الشّفاعة فلمّا وصلتِ الرُّقعة إلى المأمونِ وقَّعَ عليها بِخطِّه: قد فهِمنا تصريحَك به وتعْريضَك بنفسك، وأجبْناك إليهما وأتْحفناك بهما"[2].

- **التشوُّق :**

يجب على الكاتب "أنْ يجمع لها فكرة، ويُطهر فيها صناعة، ويأخذ في نظمها مأخذًا من اللّطافة والرقّة يدلّ على تمازُج الأرواح، وأُتِلاف القلوب، وما يجري هذا المجرى، وأن يستخدم لها أعذبَ لفظٍ وألطف معنًى، ويذهب فيها مذهب الإيجاز والاختِصار، ويعدِلَ عن سُبُل الإطناب والإكثار؛ لئلا يستغرق جُزءًا كبيرًا من الكتاب فيُمِلَّ و يُضْجِر، وينتظم في سلك المَلَق و التكلُّف اللّذين لا يعتادُهما المُتصافون من الأصدِقاء"[3] ومن ذلك"شوقُ المملوك إلى مولانا بحسب مكانِه من تفَضُّله، وحظِّه من جميلِ نظرِه، واختِصاصه بإنعامه، واغتِباطه بشرف خِدمته، ومكانِه من إيثاره؛ واللّهُ يجمع للمملوك شملَ السَّعادَةِ بِمُشاهدة حظرته"[4].

1 القلقشندي، صبح الأعشى، ج9 ،ص124-125.

2 المرجع نفسه، ص125.

3 المرجع نفسه، ص142.

4 المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

- الاستِزارة:

يدُور هذا الموضُوع حول "وصفِ حالات الأُنس ومجالِس اللَّذات، ومشاهِد المسرّات، قال: ويجب على الكاتب أن يُودِعها حُلوَ الألفاظ، ومؤنَقِ المعاني وبارِع التّشبيهات، ويُبالغ في تشويق المستزار إلى الحُضور، ويتلطّف فيه أحسنَ تلطُّف."[1]

ومن الأمثلة التّي ذكرها القلقشندي بشأن ذلك " رُقعتي –أطال اللّهُ بقاءَ سيّدي– ومحلسي بمن حلَّه من خدمه، ونزلَهُ من صَنائع كرمه؛ فلكٌ مُزيَنٌ بِأنجُمه، فإن رأى أن يُطْلِع فيه بدرا بِطُلُوعه وينقلَ خَدَمه إليهم، ويُكمِّل نقصهُم بِتِمَامِه، ويُضيف ذلك إلى تليد إنعامه، فعل؛ إن شاء اللّه تعالى"[2].

- في اختطاب المودّة و افتِتاح المُكاتبة :

وفي هذا النّوع من الرّسائل يقصد إلى بعث المودّة بين شخصين لم تقم بينهما علاقة سابقة، أو إحياء علاقة قديمة لحقها بعض الفُتور نتيجة لِبُعد المسافات وانقطاع الاتّصال"[3] ،و يجب أن يقدَّر الخطاب فيها على أن يصِل المرغوب في عشرته إلى الانخراط في سلك أحِبَّائه والانحياز إلى أهل ولائه ويبعث على قصده، في الالتحاق بودّه، ويدلُّ على المُماحصة والصّفاء والمُخالَصة، وينبغي أن يذهب الكاتب في هذا الرّقاع مذهبًا لطيفًا ،ويحسن التوصُّل إلى الإفصاح عن أغراضها: ليأخذ بجامع العُلوم و يعين على نيل المطلوب[4]، فورد في صبح الأعشى: "وضاعفَ للممالك ببقائه الانتِفاع، وبارتقائه الارتفاع ، وسرَّ بمحاسن نظره وخَبَره العِيانَ والسَّمَاع.

1القلقشندي، صبح الأعشى،ج9، ص150.

2 المرجع نفسه، ص151.

3 العربي سالم الشريف، دراسات في الأدب الأندلسي، ص217.

4 ينظر: القلقشندي، صبح الأعشى،ج9، ص 155.

ولازال للمُحبّين من وُدِّه عطفُ المُتلطِّف والأعداء من بأسه خطفُ الشُّجاع..."[1].

ـ في خطبة النِّساء:

جرت العادة في العصر المملوكي، أنّهُ إذا تزوّج السُّلطان أو من يخصُّه من أقاربه، أو أحد من كِبار الأُمراء، أن يكتُب لهُ خطبة صداق، تمتاز بالطُّول أو القِصر حسب صاحِبة العقد، تطُول للمُلوك، وتَقْصر لمن دُونهم، بقدر درجة القرابة من الملك"[2]، ويحتوي كتاب صُبح الأعشى عددًا من كُتب الصَّدقات، منها ما أوردَهُ أبُو الحسين بن سعد في ترسُّله: "وأفضلُ تلك المواهِب موقِعًا وألْطَفُها وأحمدها عاقِبةً، وأرهَنُها يدًا، ما يُؤلِّف اللّهُ به القُرُبات ،ويُؤكِّد به الحُرُمات ويُوجِب به الصِّلات، ويُحدِّد به المَكْرُمات، ويُحدِث به الأنساب. "[3]

- في الاسترضاء و الاستعطاف والاعتذار:

تناولت الرّسائل الإخوانية موضُوع الاعتذار باعتِباره يُمثِّل صُورة من صُور العلاقة المُتَبادِلة بين الكُتّب، فكان الكاتب يعتذِر عن تلبية دعوة أو المُشاركة في إحدى المُناسبات ذاكِرًا لهُ الأسْباب التِّي حالت دُون تلبِية دعْوَتِه، و الاستِعطاف في الصّفح عن هذا الشّخص ،ويحتاج هذا النّوع من الرّسائِل إلى حُسن تأنّ: لما يشتمِل عليه من إيجاب حُقوق الخدمة ،ومن أسلَفوه من مُدّعي الخدم، وما يتبع هذا من التنَصُّل والاعتِذار الذّي يسلّ السَّخائِم من القُلوب، وتنزل الأوغار من الصُّدور، ويطلع الأنس وقد غرب، كما ينبغي على الكاتب في هذه الرّسائل أن يستعمل فيها فكره،ويوفيها حقّها من جودة التّرتيب واستِفاء المعاني، وأن يذهب إلى استِعمال الألفاظ الجامِعة لِمعاني العذر، الملوِّحة بالبراءة مِمَا قرف به[4]، قال

1 القلقشندي، صبح الأعشى، ج9، ص157.

2 ينظر: المرجع نفسه، ج14، ص300.

3 المرجع نفسه، ج9، ص159.

4 ينظر: المرجع نفسه، ص165.

سليمانْ بنِ وهب: "منِ انصرفَ في الاِحْتجاج إلى ما يلزَمْه وإن لم يكُن لازِما، فقد لطّفَ الاستعطاف، واستوجب المُسامحةَ و الإنصاف"[1].

- في الشّكوى:

ذكر القلقشندي أنّه " يجب أن تكون مبنية من صفة الحال المُشكِية، على ما يوجب المشاركة فيها ويقضي بالمساعدة إن اُستدعيت عليها، من غير إغراق يقضي إلى تظليم الأقدار وإحباط الأجر، وشكوى المبتلي بالخير والشرّ سبحانه وتعالى، ويدّل على التهالك بالجزع، وضعف التّماسُك وقوّة الهَلَع باستيلاء القنوط والإياس، و أن يشفع الشكوى بذكر الثقة بالله سبحانه والتسليم إليه، والرضا بأحكامه، توقّع الفرج من عنده."[2]

- في استماحة الحوائج:

يتّسم هذا النوع من الرسائل بأنّه ذو طابع شخصي موجّه من كاتبه إلى صاحب الشأن والمسؤولية، مؤملا الكاتب في قضاء حاجة، وغالبا ما يكون هذا المسؤول هو القادر على قضائها، وتتنوّع هذه الحاجات كطلب المنحة المالية، أو تولية المناصب، أو إزالة أُجور أو ظلم حلّ بالكاتب، ولمّا كانت الحاجات تختلف لدى الكاتب، فإنّا نجد تنوّعا وتمايُزا في تشكيل هذه الرّسائل، وقد أدرك القلقشندي هذه الأمور، فأشار إلى ذلك بما أخذه صاحب مواد البيان، بقول: "رِقاع الإستماحة يختار أن تكون مودعة من الألفاظ ما يحرّك المال، الصعب بذله، إلّا على من وفّق الله مروءته، وأرخص عليه أثمان الحامد وإن غَلَت، وينبغي للكاتب أن يتلطّف فيها، التلطّف الذي يعود بنجاح المرام، ويؤمِّنُ من الحصول على إراقة ماء الوجه

1القلقشندي، صبح الأعشى، ج9، ص166.

2المرجع نفسه، ص173.

والخيبة، بالردّ عن البغية ويعدل عن التثقيل والإلحاف المضجِّرين، ولا يضيق العذر على السماح، إلّا أنّه يتمكّن للثّقة به ويعلم المشاركة في الحال"[1].

فنجد القلقشندي نظّم أبيات لأمير المؤمنين المستعين بالله أبي الفضل العبّاس ليستسمحه حاجة بقوله:

"إذا رُمْتَ أن تحضي بِنَيْلِ مآرِبٍ *** فبادِر إلى العبّاس من آل عبّاس

إمامٌ بهِ ثَغْرُ الخِلافة باسِمٌ *** و عِرْنينُها يسمو على قمّة الرّاسِ

أَبى الفضل إلّا أن يّكون لِأهلِهِ *** [دَواما] وأن يُّدعى أبا الفضل في النّاس

فللمُستعِينِ اقْصِدْ تَجِدْ خَيْر مُنْجِدٍ *** حريصٍ على المعروف برًّا بإيناسِ

فيحيى لَهُ يَحْيى و داوُدُ صِنْوُه *** ويعقوب أعضادا و حِصنًا من الباسِ"[2].

- في الشكر:

ويتمّ فيها إسداء الشكر على صنيع للشخص الذي يتوّلى الحكم وقد تكون هذه الرسائل موجّهة إلى سلطان دولة أُخرى قدّم صنيعا إلى أهل دولته، ويُعَبِّرُ في الرسالة عن جزيل شكره وامتنانه على هذا الصنيع، ومن النماذج على هذا النوع من الرّسائل، نستشهد برسالة بعث بها أبو الميمون عن بعض أهل دولتهم إلى الناصر لدين الله أحد خلفائهم، يشكر فيها الخليفة على نعم قد أسداها لهم، وقد بدأ الرسالة بألقاب عديدة أضفاها على الخليفة، يقول فيها: " المقام الأعلى المقدّس، الأعلى، الأمامي، الطاهر، الزّكي، مقام الخليفة المؤّيّد بنصر الله، الإمام الناصر لدين الله كلّا الله جلالهم، وقيّأ ضلالهم... كتب عبد المقام الأعلى والنديّ الذي أسّس بنيانه على تقوى من الله ورضوان، واحتوى على الفضائل واستولى، من

1 القلقشندي، صبح الأعشى،ج9، ص176

2 المرجع نفسه، ص180

موضع كذا حماه الله تعالى، وجنانه لطاعتكم قطب، ولسانه يشكر نعمته رطب... ولا خير إلّا لخيره والسلام"[1].

فقد "اتَّخَذَ الكُتّاب الرّسائِل الإخوانية أداة لتوجيه الشكر إلى إخوانهم لمعروفٍ أسدَوهُ إليهم أو خيرٍ اختصوه به"[2].

- العيادة والسؤال عن حال المريض:

من الموضوعات التي شاعت في الرّسائل الإخوانية، وذلك للطّابع الإنساني الذي تحمله ، فقد ورد في صبح الأعشى " ونهي أنّ ما خامره من قلق وجزع ، وفرق وهَلَع، بسبب ما بلغه من شكوى مولانا لا تحضره الأوهام، ولا تسطِّرُهُ الأقلام... ويُعكِّف له سلك الشّقاء ويُنظِّمُه، والله تعالى يجعله في أمان من كفايته، وضمان من حيّاطته إن شاء الله تعالى"[3].

- في الذمّ:

انتشر موضوع الذمّ بين الرّسائل الإخوانية، ويتجلّى لنا ذلك في هذا القول: "وصل كتابُك، فرأيناك قد حلّيتَه بزخارف أوصافك، وأَخْلَيْتَهُ من حقائق إنصافِكَ، وأكثَرتَ فيهِ الدّعاوى على خصمِكَ، من غير برهانٍ أتَيْتَ به على دَعْواك وزَعْمِك"[4].

- في الأخبار:

هو جمع كلمة "خبرٍ، وهو ما ينقل أو يحدث به قولا أو كتابة، وقول يحتمل الصّدق أو الكذب لذاته"[5]، وقد تحدّث القلقشندي عن هذا الأمر حيث قال في مواد البيان " كتب الأخبار

1 القلقشندي، صبح الأعشى، ج06، ص532-533.

2 فوزي سعد عيسى، الترسل في القرن الثّالث هجري، دار المعرفة الجامعة، الإسكندرية، 1991م، ص35-36.

3 القلقشندي، مرجع سابق، ج09، ص203.

4 المرجع نفسه، ص217.

5 مصطفى إبراهيم و آخرون، المعجم الوسيط، مادة خبر، ط4، مكتبة الشروق الدولية، 1425هـ-2004م.

وإن كانت من الكتب الكثيرة الدّوران في الاستعمال، فليست ممّا يمكن تمثيله، ولا حصر المعاني الوامقة فيه برسوم تشتمل عليها، ولا أن تُقَدَّمَ له مقدِّمة تكون توطئة لما بعدها، كما يجري الأمر في سائر فنون المُكاتبات الأُخَر التي لا تخلو من مقدِّمات تحُلُّ منها محلَّ الأساس من البنيان و الرأس من الجثمان..."[1].

- المداعبة:

استعمل الإخوان المداعبات في رسائلهم " لأنّها مستملاة من أحوال متباينة، ومأخوذة من أمور غير معيّنة، وحصرها في أمور جامعة يستحيل، وتمثيلها غير مفيد، لأنّه لا تَعَلُّقَ لبعضها ببعض، ولا نسبة بين الواحد والآخر، ثمّ قال: والأحسن بأهل الوداد والصّفاء، والأليق بذوي المخالصة والوفاء، أن يتنزّهوا في المداعبة الدائرة بينهم عن بذيء اللفظ ومُفْحَشه، ومُولِم الخطاب ومُقذِعِه، ويَكُفّوا اللسان واليد عن الانطلاق... بين جرح اللسان وجرح اليد"[2].

- في إخفاء ما في الكتُب من الشّر: ويُعَدّ أمرٌ مهِمٌ في الكتابة، فهو ما تمُسُّ الحاجة إليه عند اعتراض معترض من عدوٍّ ونحوِهِ يحول بين المكتوب عنه والمكتوب إليه، من مَلِكَينِ أو غيرِهما حيث لم تُفِدِ المُلطّفات لضرر الرّصد وزيادة الفحص عن الكتب الواردة من الجانبين"[3].

فجاءت الرّسائل الإخوانية متذكِّرة حول مواضيع إنسانية تهمّ النّاس والمجتمع، حيث ناقش القلقشندي فيها قيمًا اجتماعية رائدة، تَزيدُ من لحمَة المجتمع.

1القلقشندي، صبح الأعشى، ج09، ص219-220

2المرجع نفسه، ص225

3المرجع نفسه،ص229

لقد بنى الكُتّاب الرّسائل الإخوانية على "قاعدتين هما: القاعدة الأولى وهي فيما يتعلّق بورق هذه المُكاتبات وقد جرت العادة أن تكون جميع هذه المكاتبات: من الأعلى إلى الأدنى، ومن الأدنى إلى الأعلى، ومن النظير إلى النظير في ورق قطع العادة دون ما فوقه من مقادير قطع الورق"[1]، أمّا القاعِدة الثّانية فيما "يتعلّق بِخَط هذه المُكاتبات وكيفِية أوضاعِها، وقد اصطلح الكتّاب على أن تكون كتابة البسملة في أوّل الوصل الثاني من المكاتبة، وأن يكون تحت الجلالة من البسملة لقب المكتوب عنه المضاف إلى ملكه أو أميره"[2]، وتجد ذلك ما كتبه الملكي الفلاني بلقب ملكه السلطان، مثل: "الملكي الظاهري، فتنقسم المكاتبات الإخوانية بحدّها إلى قسمين هما: الابتِداءات وذلك بتقبيل الأرض، وهي أعلاها رتبة بالنسبة إلى المكتوب إليه"[3]، وأنّ مثل هذه المكاتبة وُجِدت في أواخر الدّولة العبّاسية ببغداد، وبعد ذلك انتشرت في مصر في أوائل الدولة الأيّوبية، ولكن كانت قليلة الاستعمال، فالمكاتبة بذلك موجودة في كلام القاضي الفاضل في بعض المكاتبات الملوكية، ومن ذلك ما كتب به عن نفسه إلى السلطان " صلاح الدّين بن يوسف بن أيّوب " للتّهنئة بالمولود الجديد.

ونجد الكتّاب "قد رتّبوا المكاتبة بتقبيل الأرض في المصطلح المستقرِّ عليه الحال على خمس مراتب:

– الإتيان بالإنهاء بعد يُقبِّل الأرض من غير تعرّض لذكر دعاء الله ولا الثّناء عليه، مع مراعاة الاختصار وعدم السّجع وتقارب السطور، مثل أن يكتب بعد البسملة ولقب المكتوب عنه الذّي تحت البسملة"[4].

1 القلقشندي، صبح الأعشى، ج8، ص168

2المرجع نفسه، ص169

3المرجع نفسه، ص170

4المرجع نفسه، ص171

– لابُدّ "أن يأتي بعد تقبيل الأرض بذكر الدُّعاء دون الثّناء مع تقارب الأسطر أيضا واجتناب السّجع، وقد اصطلحوا في هذه المكاتبة أن يكتبوا تحت البسملة مع لقب المكتوب عنه الذي هو الملكي الفلاني ونحوه لقب المكتوب إليه: كالسقي ونحوه، على سمت المالكي الفلاني من الجهة اليمنى مع بياض بينهما، بحيث يقع بعض اللقب في حاشية الكتل"[1]، وبعضه تحت أوّل البسملة.

– أن "لا يكتب في أوّل المكاتبة عن يمين أسفل البسملة للفلاني ويأتي بذكر الدُّعاء والثّناء مسجوعا، مثل أن يكتب بعد البسملة ولقب المكتوب عنه الذّي هو الملكي الفلاني: يُقبّل الأرض، ويُنهي بعد رفع دعاه وإخلاصه في محبّته وولائه"[2].

–يجب أن يأتي قبلها من الابتداء ليُقبّل الأرض وينهى بعد رفع دعاه وما في معناه على ما تقدّم من غير فرق"[3]، "والمرتبة الأخيرة فيقبّل الأرض بالمقرّ الشريف، والرسم فيه أن يترك بعد البسملة وما تحتها من الملكي الفلاني قدر سطر أو سطرين بياضا، ثمّ يكتب يقبّل الأرض بالمقرّ الشريف ويختلف الحال فيه "[4].

إلى جانب المُكاتبة بتقبيل الأرض نجد أيضا مكاتبة " بتقبيل اليد، وقد رتّبها الكُتّاب على ثلاث مراتب، وهي: المرتبة الأولى قبل الباسط الشّريف، وهي الأعلى بالنِّسبة إلى المكتوب إليه، والرّسم فيها أن يترك الكاتب تحت الملكي الفلاني بعد البسملة قدر سطرين بياضا، كما في المكاتبة قبلها "[5]، ثمّ يكتب: يُقَبِّل الباسطة الشريفة بالتأنيث، ويجري الحال في ذلك كما في الباسط "والمرتبة الأخيرة فيها يقبِّلُ اليدّ الشّريفة بألقاب الباسطة المتقدّمة، ثمّ اليدّ الكريمة،

1 القلقشندي، صبح الأعشى، ج8، ص176

2 المرجع نفسه، ص176

3 المرجع نفسه، ص179

4المرجع نفسه، ص184

5المرجع نفسه، ص185–189

ثمّ اليدّ العالية مع حذف الكريمة رتبة بعد رتبة "[1]، والألقاب يُدعى له، أمّا المكاتبة بالدّعاء "وقد رتّبوها على ثلاث مراتب وتتمثّل في المرتبة الأولى، وهي الدّعاء للمُقِرّ، والرّسم فيه أن يترك بعد الملكي الفلاني قدر عرض ثلاثة أصابع بياضا، ثمّ يأتي بصدر المكاتبة على سمت البسملة مع اختلاف الحال في ذلك، والمرتبة الموالية تتمثّل في الدُّعاء للجناب، وهو على ثلاث طبقات، وتشتمل الطبقة الأولى على: أعزّ الله تعالى نضرة الجناب الكريم، والرسم فيه أن يُترك تحت " الملكي النّاصري " عرض ثلاث أصابع بياضا كما في المسألة قبلها"[2]، والطّبقة الثّانية من المرتبة الثّانية: ضاعف الله تعالى نعمة الجناب العالي "والرسم فيه أن يُترك تحت الملك الفُلاني أربعة أصابع بياضا، ثمّ يختلف الحال في ذلك، أمّا الطبقة الثّالثة أدام الله نعمة الجناب العالي، وما في معنى ذلك والرّسم فيه أن يُترك تحت الملك الفُلاني بحيث يبقى من الوصل الذّي فيه البسملة ما يسع سطرين فقط، ثمّ يختلف الحال فيه"[3] ، وأمّا المكاتبات المفتتحة " بالأدعية وصُدرت هذه المكاتبة لتبدي لعلمه أو تُوّضّحه، ومن أجل ذلك جُعلت هذه الدرجة دون درجة الافتتاح بالدّعاء، فالصّدر يكون مُشتملا بعد الدُّعاء على ثلاثة أشياء هي: الافتتاح صدور المكاتبة بقوله: أصدَرناها أو صَدَرَت، ثمّ الإشارة إلى المكاتبة بقوله: هذه المكاتبة، والشّيء الثّالث: الإعلام بما صُدِرَت بسبَبِه المكاتبة، وانتظم بذلك ثلاثة مراتب "[4]، فالمرتبة الأولى تتمثّل في افتتاح صدور المكاتبة "وفيها طبقتان هما: الطبقة الأولى صُدِرت هذه المكاتبة إلى المجلس العالي ويختلف الحال فيها، والطّبقة الثّانية صدرت والسّامي وهي أن تُفتتح المكاتبة بأن يُقال صُدرت هذه المكاتبة إلى المجلس السّامي والبياض فيها تحت الملك الفلاني، كما في المكاتبة التي قبلها بحيث لا يبقى من الوصل إلاّ ما يسع سطرين فقط على ما تقدّم، أمّا المرتبة الثّانية تتمثّل في الافتتاح

1 القلقشندي، صبح الأعشى، ج8، ص189.

2 المرجع نفسه، ص195.

3 المرجع نفسه، ص200.

4 المرجع نفسه، ص206.

بالإشارة إلى المكاتبة، وهي أن يكتب هذه المكاتبة إلى المجلس السّامي في ألقابه ويعبّر عنه بالسّامي والبياض فيها تحت الملك الفلاني متّسع أيضا بحيث لا يبقى من الوصل إلّا ما يسع سطرين فقط"[1].

وأمّا المرتبة الثالثة هي "الافتتاح بالأعلام وهو أن يكتب بعلم فلان، و الرّسم فيه أن يُترك تحت الملك الفلاني بياض، بحيث لا يبقى من الوصل إلّا ما يسع سطرين كما في المكاتبة قبلها وما قبل ذلك."[2]

الرّسائل الدّيوانية:

تُسّمى الرَّسائل التِّي تُصْدرُ عن ديوان الرَّسائل الدِّيوانية نسبةً إليه وفي هذا القول يُعرِّفه عبد العزيز عتيق أنَّ"الرَّسائل الدِّيوانية هي التِّي كانتْ تُصدر عن ديوان الخليفة أو المَلك يوجِّههَا إلى وُلاَّتهِ وعُمَّاله وقادة جُيوشه، بل وإلى أعدَّائه أحياناً منذراً ومتوعدًا"[3]،المرادُ"بها أيْ الرَّسائل الرّسمِية أوْ كتابة الإنشاء كلَّ ما رجع من صناعة الكتابة إلى تأليف الكلام و ترتيب المعاني: من المُكاتباتِ والولاياتِ و الإطلاقاتِ والمناشير, الإقطاعات والهدنِ والأماناتِ والأيمانِ وما في معنى ذلك الكتابة الحكم ونحوها"[4]،والرَّسائل الرّسمية حسب القلقشندي كلُّ وثيقة إداريَّة، فالكلام مُؤَلّفْ، و مَضْبوُطْ المعاني مُرتَّبة بليغة تتناول أنواع القرارات الإداريَّة والأوامر السلطانيَّة الموجَّهة إلى مُختلف مُوظِّفي الدَّولة أوْ الرَّعية داخلياً، أوْ إلى مَنْ لهم علاقة بها كالدُّول المُجَّاورة في الإطار الخارجي.

ونظراً للأهميَّة التِّي تَكْتَّسِبهاَ الرَّسائل الدِّيوانية نجد القلقشندي يَصِفُها "أنَّها مبنيَّة على مَصالح الأُمَّةِ وقِوَامُ الرَّعيّة لماَ يشتَّمل عليه من مُكاتباتِ الملوك وسَراهُ النَّاس في مُهمَّات الدُّنيا وصلاح

1 القلقشندي، صبح الأعشى، ج8، ص207.

2 المرجع نفسه، ص208

3 عبد العزيز عتيق، في النقد الأدبي عند العرب، ص449.

4 القلقشندي، صبح الأعشى، ج1، ص54.

الحَالِ وبَيعاتِ الخُلفاءِ وعهودهم وما يَصْدُرُ عنهم من عهود الملوكِ ,وما يلحق بذلك من ولايات أرباب السُّيوف والأقْلامِ الذِّين هم أركانُ الدَّولة وقِوادُهاَ، إلى غير ذلك من المَصالِح التي لا تكاد تدخل تحت الإحْصاءِ ولا يأخذها الحصر"[1], ومثال ذلك رسالةُ عَبدُ المُؤمنِ إلى الشَّيخِ أبي عبد الله محمد بن سعد بدايتها "منْ أمير المؤمنين أيَّده الله بنصرهِ، وأمدَّه بمعونتهِ إلى الشَّيخ أبي عبد الله محمد ابن سعد وفَّقه الله, ويسرُّه لما يرضاه، سلام عليكم ورحمة الله و بركاته".[2]

تتميّز الرّسائل الدّيوانية بمجموعة من الخصائص المضمونية التي تميّزها عن سائر الرّسائل الأخرى وتتمثّل تلك الخصائص في:

-البيعات:

والبيعات "جمع بيعة، وهي مصدر بايع فلان الخليفة، يُبايعه مُبايعة"، معناها المُعاقدة والمُعاهدة، وهي مُشبّهة بالبيع الحقيقي"[3]،إذْ أنّ كُلّ واحد "أعطى الأخر، ما يملك من قُوّة الجوارح وصِدق النيّة والنّفس، وصفق يدّ الآخر، كرمز لحصول البيع على عادة العرب"[4]، وهناك من يُعرِّفها بأنّها: "رسائل إعلاميّة تُوجِّهها الدّولة إلى الرعيّة، لتبايع الخليفة الجديد، أو وليّ عهد، وهو ما اصطلح عليه جمهور الفقهاء على تسميّته (البيعة العامة) التّي يتسنّى للخليفة الحصول عليها بعد (البيعة الخاصة)، التّي يعطيها أصحاب الحلّ والعقد، وهم العلماء على الأرجح"[5]، و للبيعات أنواع منها: "البيعة للخليفة والبيعة لوليّ العهد، البيعة

1القلقشندي، صبح الأعشى، ج1، ص60.

2 المرجع نفسه، ج6، ص443.

3 المرجع نفسه، ج9، ص283.

4 المرجع نفسه، ج3، ص283.

5 محمد محمود الدروبي، الرسائل الفنية في العصر العباسي حتى نهاية القرن الثالث الهجري، ط1، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، 1999، ص30.

للخليفة ووليّ عهده في الوقت نفسه، كرسالة البيعة للمعتزّ ووليّ عهده"[1]، وقد بيّن لنا القلقشندي صاحب كتاب "صبح الأعشى" "الأمور التّي يجب على الكاتب مراعاتها في كتابة البيعة، فظهرت تلك الأمور كأنّها قواعد يلتزم بها الكاتب ولا يتعدّاها إلى غيرها، إذْ عليه التنبُّه لبراعة الاستهلال، من ذِكر لاسم الخليفة، أو لقبه أو الحال الموجب للبيعة، من موت الخليفة، أو خلع، أو ما إلى ذلك، كما عليه التّنبيه على شرف الخليفة وعُلوّ قدرها ،وكذلك الحاجة الماسة للإمام وضرورة وجود الإمام في الأمّة والمُوافقة عليه بالإجماع ،وعلى الكاتب أن يُنبّه بوجوب الطّاعة التّامة من الأمّة وتفويض الأمور العامة للإمام، كما عليه أن يشير إلى السُّلطان القائم بالبيعة»[2]، ونجد القلقشندي قد حدّد لنا مواضع الخلافة التّي تُكتب بها البيعات في عِدّة مواضع منها: "موت خليفة دون عهد لخليفة بعده، ولعلّه الموضوع الأصلي لكتابة المبايعة، ثمّ انتقل إلى موضوع آخر هو موت الخليفة وقد عهد من بعده لخليفة، فتؤخذ البيعة العامة على الرعيّة لإظهار الإجماع عليه، وثالثا أن تُؤخذ البيعة للخليفة في ولايته، ثمّ تبعث الكتب للأعمال لأخذ البيعة على أهلها، ثمّ أن يُحدِث اضطرابات في بعض الأعمال، فيعمل على تجديد البيعة في تلك الأعمال" [3]، وأخيرا خلع "الخليفة المُنتصب لموجب يقتضي الخلع، فتحتاج الأُمّة إلى مُبايعة إمام يقوم بأمورها، ويتحمّل أعبائها"[4]، ومثال ذلك أوّل بيعة في الإسلام "تعقد لأبي بكر في سقيفة بني ساعدة بعد وفاة الرّسول(ص)، حيث كاد أن يدُبّ الخِلاف بين المهاجرين والأنصار "[5]، وأنّ أوّل بيعة كُتِبت في الإسلام كانت على يدّ الحجاج بن يوسف الثّقفي، أخذها لعبد الملك بن مروان، حيث أقامه على إمارة العراق.

1 محمد محمود الدروبي، الرسائل الفنية في العصر العباسي حتى نهاية القرن الثالث الهجري ، ص31.

2 القلقشندي، صبح الأعشى، ج9، ص286-289.

3 المرجع نفسه, ص289.

4 المرجع نفسه, ص285.

5 أحمد عبد الرحمان الذنيبات، أبو العباس القلقشندي أديبا، رسالة الماجستير، جامعة مؤته، 2001م، ص91.

وقد ذكرها القلقشندي في موضوعين: الموضوع الأوّل فيتمثّل في البيعة المُترتِّبة على خلع خليفة، وفي البيعة المُترتِّبة على الخليفة، نجده يستهلّها بالحمد لله على ما تميّز به الأمّة المُحمّدِية من شرف بين الأمم، ليصل للتعّريف برُتبة الخليفة و أنّها أعلى الرُّتب و ما اختصّت به قريش، والأسرة العبّاسية بالتّحديد من علاقة موصولة بالخلافة ثم يلتفت المتلقّي المُبايع، ويتكلّم على لسانه، بصيغة الجمع "و نشهد أنّ لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له شهادةُ مُخلِص تمسّك بعهدِها فوفّى و أعطاها صفقة يدّه للمبايعة فلا يبغي عنها مصرفا"[1] ،إذن أنّ المبايع هو الرعيّة بوجه عام. وأمّا الموضع الآخر من مواضِع كتابة البيعة التّي كتب فيها القلقشندي, فهو "البيعة المُترتِّبة على خلع الخليفة، وهي لا تختلف عن سابقتها إلاّ في التّركيز على بعض المحاور من جهة والتّعميق في إيراد المرجعية للخلافة من جهة أخرى، فالقلقشندي لم يتطرّق إلى موت الخليفة في البيعة الأولى، ولعلّ ذلك عائدا إلى طبيعة الموت، وأنّه أمر مُعتاد لدى النّاس، أمّا في البيعة المبنيّة على خلع الخليفة، فلابدّ من التّمهيد لذلك وبيان الأسباب الدّافِعة، والحُجج القائمة على خلع الخليفة، الذّي كان قد أخذ على النّاس الأيمان المُغلِظة"[2].

وقد وضّح لنا القلقشندي كيفية الاستهلال في البيعة، فإنّه "لا ينسى الخاتمة فيها، فيُشير إلى كتابة(إن شاء الله تعالى)، ويليها التّاريخ ثمّ يكتب «بالأُذن العالي المَولويُّ الإماميُّ النّبويُّ المُتوكّل مثلا أعلاه الله تعالى » وكأنّ الخليفة الذّي كتب له البيعة هو الذّي أذن في كتابها،ثمّ تُكتب الحمدلة والصّلاة على النبيّ(ص) والحسبلة، ثمّ يكتب من بايع من أهل الحلّ والعقد، والشُّهود على البيعة"[3]، فأمّا تولّى عقد البيعة من أهل الحلّ والعقد فيكتب «بايعته على ذلك وكتب فلان بن فلان » ويدعو قبل اسمه بقوله: "بايعته على ذلك قدس الله خلافته

1 القلقشندي، صبح الأعشى، ج9، ص307.

2 أحمد عبد الرحمان الذنيبات، أبو العباس القلقشندي أديبا، ص100.

3 المرجع السابق، ص331-332.

أو «زاد الله في شرفه» و قد يكتب الشّهود قبل كتابة أسمائهم بما يناسب«عرف الله المسلمين بركتها إلى مدّتهم» و المعنى الثّاني اليُمن، و منه قوله تعالى «و أوفوا بالعهود إذا عاهدتم» و منه الحفاظ لقوله(ص): «حسن العهد من الإيمان» و كذلك يأتي بمعنى الذمّة و الزّمان كقولهم «كان ذلك على عهد فلان» و منه الوصيّة، كما في قوله »أو ما شابه ذلك"[1].

- العهود:

فجمعه عهد، و هو لفظ له عدّة معانٍ منها: الأمان كقوله تعالى «فأتمّوا إليهم عهدهم تعالى:«و لقد عاهدنا إلى آدم من قبل فنسي»، ومنه اشُتق العهد "الذي يُكتب للولاّة[2] والخُلفاء والملوك. ويُعرِّفُها محمّد الفقي "بأنّها رسائل تصدر عن الخليفة، أو السّلطان، لمن رشّحه وِليًّا للخلافة،أو السّلطنة من بعده "[3]، و كما يُقال أيضا "العهد رسالة ديوانية يُدبِّجُها كاتب الرّسائل على لسان الخليفة لمن بعده، وتُعرف حينئذٍ «بعهد الولاية» وتُكتب أحيانًا على لسان الخليفة أو الأمير بالأمان الثّائر أو خارج على الدّولة."[4]

و يرى القلقشندي أنّ العُهود تأتي على أربعة أنواع هي: عهود الخلفاء عن الخلفاء، ثمّ عهد الخلفاء للملوك، ثالثا هو عهد الملوك لولّاة العهد بالملك وأخيرا عهد الملوك بالسّلطة بالملوك المنفردين بصغار البلدان [5].

و للكُتّاب في كتابة العهد طريقتان: الأولى طريقة الُمتقدّمين،و يورد القلقشندي في ذلك مثال عن نسخة العهد الذّي كتبه أبو بكر لعمر بن الخطاب[6].

---

1 القلقشندي ، صبح الأعشى، ج9، ص331-332.

2 المرجع نفسه، ص 348.

3 محمد الفقي، الأدب في العصر المملوكي، الهيئة المصرية العامة، 1986م، ص 110.

4 فايز عبد النبي فلاح القيسي، أدب الرسائل في الأندلس، ص117

5 ينظر: القلقشندي ،صبح الأعشى، ج9، ص349.

6 ينظر: المرجع نفسه ص 359.

أمّا الطّريقة الثّانية فهي طريقة الكُتّاب المتأخّرين، فجاء الثّناء على المعهود له بعد الحمد ،و كذلك الذّكر من ألقاب المعهود إليه بما يناسبه، ويذكر القلقشندي: أنّه لم يظفر بعهد بهذه الطّريقة التّي ذكرها المقرّ الشّهابي الفضل الله في كتابه «التّعريف» فأنشأ "عهدًا لم يسبق لمثله على هذا الطريق، و لم يكن هناك مناسبة، بل أنشأه امتحانا للخاطر، و جعله على الإمام المُتوكل على الله أبي عبد الله محمد بن المُعتضد أبي الفتح أبي بكر لولده العبّاس ليكون أنموذجا ينسخ على منواله، و يذكر القلقشندي أنّه لما قبض الله على الإمام المُتوكّل ،أجمع أهل الحلّ و العقد على مبايعة ولده العبّاس بالخلافة، فتحقّق ما أجراه الله على اللّسان من إجراء ذلك العهد، و أنّه التقى الخليفة الجديد بعد تسع سنوات، فقرأ عليه فأظهر ابتهاجا له، و أجازه عليه و احتفظ به في خزانته العالية " [1]، أمّا حول الورق الذّي تُكتب فيه عهود الخلفاء، فيذكر القلقشندي أنّها كانت تُكتب في القطع البغدادي الكامل، و أنّه لما ضعُف الخلفاء و صار أمرهم إلى الملوك المُتغلِّبين، تنازلوا في كتابة عهودهم من البغدادي الكامل إلى القطع الشّامي و هو ما يراه القلقشندي الأنسب للعصر المملوكي الذّي عاشه"[2] ،و حسب ما يستخدم الورق " يُستخدم له القلم المناسب فإنْ كتب في القطع البغدادي الكامل ، استخدم له قلم مختصر الطومار و إن كتب في القطع الشّامي ، كتب بالقلم الثّلثين الثّقيل"[3].

- الأخبار:

جمعُ خبر و هو "ما يُنقل أو يحدث به قولاً أو كتابة ، و قولٌ يحتملُ الصدق أوْ الكذب لذاتهِ"[4]، و الخبر أحد الرّسائل الديوانية و قد تأْخذُ الطابع الإخواني و يراد " منها إحاطة

1 القلقشندي، صبح الأعشى، ج9، ص 369.

2 المرجع نفسه، ص 394.

3 المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

4 أحمد بن الرحمن الذنيبات، أبو العباس القلقشندي أديبا، ص 123.

الخليفةُ أوْ صَاحبُ الشأن علماً بأمر عام أوْ خاص و منْ هنَا يصعبُ حصر المعاني التّي تختصُ فيهِ، و لا الهَيْئةَ التّي يَكونُ عَليْهَا إلاّ أنَّه يمكن أنْ يمتازَ عن غيره من المكاتبات بأنَّه لا يحوي مقدّمة تكونُ تَوطِئةُ لماَ بَعْدهَا "[1].

كما أنَّ المُراد بالخبرِ إيضاح صورة بشكل واضح و مقْنع لمُتلقيهِ ، ليتنبَّه له إلاّ أنَّ بعض الأخبارِ تحوَّل لخُصوصيتها و ذَاتها دون التصريح عنها باللّفظ الخاصِ بها ، ممَّا يَدفعُ بكَاتِبهَا إلى إيصَالهاَ و الأخبار عنها بألفاظِ تُؤدي مَعْناهَا ،فلا يَقْدمُ على صدمِ المخبر بما يكره و يستاءُ من سماعه مباشرةً ، كتلك الأخبارُ التّي ترفع للسّلطان حوْل عبدٍ لهُ قد نُشر ما يضع منْ مكانةِ السّلطان في النفوسِ فإنَّ الكاتبُ يلْجأُ في هده الحالة إلى التّعريض و التّورية لإيصالِ الخبر ،فيأتي بألفاظ تدلّ على معاني ما يقصدُ إيصاله و يحرصُ على ألاَّ يؤذي سمع السّلطان بما يكرهُ سماعَه و لا يجوز مُقابلتهُ به، على أنَّ الإيجاز و الإطنّاب في الأخبار يَسيْرُ حسب ما يقتضيه الحالُ في الخبرِ والمخبر به، و إنْ كَان الإيجازُ هو الغالب على هذا الضّرب من الرّسائل"[2]، و نجد القلقشندي قد كتبَ "كُتبُ الأخبار أوّلها بإخبار عن الخليفة، يوضّح فيه وضعَ الخليفة في خلافته و هو مكين في دولته إذْ هو صاحبُ رأي عالٍ ، سُلطان عزيز، و يشير إلى نعم الخليفة الوارفة عليه و على أهل الخلافة التّي تشملُ كل من دخل في طاعته و لإظهار القوّة التّامة للخَليفة يصوّر أعدائه، فهم مَحْرومونَ من خيراتِ بلاده سالمة منهم أطراف البلاد و ثغورها ،... ثم يُخْتمُ كتِابه بالحمد لله على إحسانه و نعمائه"[3]، و كِتَاب آخر بإخبار عن الوزير، كتاب آخر بإخبار عن أمير يصفُ فيه حال الأمير، و إنَّ هذه الكتب اتّسمت بالإيجاز يبتعد الكاتبُ فيه عن الإطنابِ و الاستطراد فهي

1 أحمد بن الرحمن الذنيبات، أبو العباس القلقشندي أديبا، ص123.

2 القلقشندي، صبح الأعشى،ج 9 ، ص 220.

3المرجع نفسه، ص 221.

تخلو من المُقّدمات و تقتصرُ على إيجاز لتختّتم بالحمدِ دون العمل على توثيقهاَ و تأريخهاَ"[1].

- التّقاليد:

هي من الرّسائل الرّسمية الصّادرة عن الديوان المختصّة بإدارة الشؤون الداخليةَ للدّولة ، ومفردها تقليد و هو مأخوذة من القلادة في العنق و لعل قولهم : قلّد به أمر كذاَ إذا وَلّيتهُ إياه كمعنى اصطلاحي مأخوذ منه"[2]، و نجد القلقشندي يرى " أنَّ التقليدَ يتكوّن من طرّة و متنْ "[3]، و ينقل القلقشندي عن كتاب العمري "التّعريف " طرّة التقليد تُعنون بقولهم :"تقليد شريف لفلان بكذا"[4]، ويفصل القلقشندي في ذلك ، مُوضّحاً ما كتب في كُلّ حال و مقام"[5] ،و قد امتازت عن باقي المكاتبات ببعض العبارات مثل أنْ يُقال بعد التّحميد و التّشهد ، و الصّلاة على النّبي (ص) . أمّا بعد، وهو الأعلى و تكون في التّقاليد خاصة أمّا في المراسيمِ و كبار التّفاويض و التواقيع فتُكتب و بعد وهي دون أمّا بعد"[6]، و قد كتبَ القلقشندي في هذا الضّرب من "الرّسائل، من ذلك تقليد له بإشارة للأمير جمال الدّين يوسف البشاسي، استدار في الدّولة النّاصرية فرج، حين فوضت إليه الإشارة مضافة إلى الإستدارية ،ويذكر القلقشندي أنّها وظيفة جديدة لم يعهد للمتقدمين أنهم كتبَوا فيها"[7].

وحول مقادير قطعِ الورق التي تُكتب بها التقاليد و يفصل القلقشندي في ذلك بتحديد قطع الثّلثين لنوّاب السّلطنة بمصر و الشّام مطلق ، وكذلك الوزير و المشير و كاتب السِرِّ، و

1 أحمد عبد الرحمن ، الذنيبات، أبو العباس القلقشندي أديبا، ص 126.

2 القلقشندي، صبح الأعشى، ج11، ص 101.

3 المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

4 المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

5 المرجع نفسه، ص129.

6 المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

7 المرجع نفسه، ص153.

قاضي قضاةُ الشافعيّة و الحنفية بالدّيار المصرية، أمّا الثّاني و هو قطع النّصف ، فيُكتب فيها لذوي التّقاليد من أمراء العرب، ويفصل فيها فيذكر مكّة المشرّفة، و أمير المدينة المنّورة، و أمير المدينة الشّريفة ، وأمي آل فضل من عرب الشّام، و يؤكّد بأنّ التقاليد لا تُكتبُ في غير هذين المقدارينِ من الورق"[1]، ويجعل القلقشندي قلم الثّلث الثّقيل " للمقدار الأوّل ، أي قطع الثّلثين، أمّا قطع النّصف فيرى أنّ قلمها قلم الثّلث الخفيف"[2].

- التّواقيع :

ورد في مقدّمة الكِتَاب ذخيرة الكُتّاب لابن حاجب النّعمان أن " التّوقيع معناه في اللّغة التَأْثير الخفيف، و منه قولهم : ناقة موّقعة الجنبة إذا أثّر فيها الرّحلُ تأثيراً خفيفاً"[3],

و يورد القلقشندي معنى التّوقيع في اصطلاحْ الأقدمينَ من الكتاّب على أنّه:" اسم لما يُكتب في حواشي القصص لخطّ الخليفة، أو الوزير في الزمن المتقدم"[4]، و قد ذكر في "التّعريف" أنّها تكون العامة أرباب الوظائف جليلها و حقيرها، و كبيرها و صغيرها، أمّا في كِتاب "التّثقيف" إنّهَا مُختصّة بالمُتعمِّمين من أرباب الوظائف الدّينية و الدّيوانية ، ولا يكتب لأرباب السُّيوف منها إلاّ القليل"[5].

ويرى القلقشندي أنّه لا يجوزُ "إطلاق لقب الموقعينَ،على الطّبقة الثّانية من كُتّاب الإنشاء، وهم كُتّاب الدرجْ، ذلك أنّهم يَكتبون ما يوقع به كتّاب الدّست (الموقعون) إذ أنّ

1 القلقشندي، صبح الأعشى، ج،11، ص107.

2 المرجع نفسه، ص108.

3 المرجع نفسه، ص114.

4 المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

5 المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

المراد من التّوقيع هو: الكتابة على جوانب القصص ونحوها"[1]، و قد تُكتب التّواقيع على نموذج التّفاويض فيُقال فيها: أن يُفوّض و قد يُقال:" أن يترتّب، وأن يقدر"[2].

و يُرتِّب القلقشندي التّواقيع في أربع طبقات، الأوّل: ما يُفتح بخطبة مُستهلّة بحمد الله ، و يجعلها في رُتبتين: أولاها ما يكتب بقطع النّصف بقلم الثّلث الخفيف مثل ذلك ما يكتب به لأرباب الأقلام: توقيع شريف بأنْ يُفوّض للمَجلس العالي، أمّا الرُّتبة الثّانية: ما يكتب في قطع الثّلث بقلم التّوقيعات، وهو لمن رتبته السّاميي، أمّا الطبقة الثّانية من التواقيع ما يفتّتح " أمّا بعد حمد الله، وهو لمن رُتبتهُ السّامي، وهذه الطّبقة على مرّتين الأولى: ما يُكتب في قطع الثّلث، وقد قلَّ استخدام هذا الضّرب في عصر الكاتبِ، و المرتبة الثّانية من هذه الطّبقة: هي ما يكتب في قطع العادة المنصوري، والطّبقة الثّالثة: من التّواقيع ما يفتتح اللفظ رسم بالأمر الشريف و هي على مرتبتين، و الطبقةُ الأخيرة من التّواقيع لأصغر ما يكون في الولايات "[3].

أمّا في خَواتمِ التّواقيع "وعلى اختلافها فلاَ يُقالُ:"وسبيل كلّ واقف عليه" بل يقال : فليعتمدْ مَا رسم به فيه، بعد الخطّ الشّريف أعلاه"[4].

- التّصادير:

جمعها تصدير، "و نقول تصدَّرَ فُلان، أي جلس في صدْر المجلس و تقدّم قومه، أمّا في الاصطلاح ، فهو الجُلوس في صدر المجلس ، بجامع أو نحوه"[5].

1 القلقشندي، صبح الأعشى، ج1، ص137.

2 أحمد عبد الرحمن الذنيبات، أبو العباس القلقشندي أديبا، ص 140.

3 القلقشندي، صبح الأعشى،ج 11، ص 110-126.

4المرجع نفسه ،ص 116.

5 أحمد عبد الرحمن الذنيبات، أبو العباس القلقشندي أديبا، ص 151.

ويعتبر القلقشندي التّصادير "نوعا من التواقيع ، و يجعلها في الوظيفة الثّامنة ، و هي من النّصف الثّالث، الذّي يفتتح ب " رسم بالأمر الشّريف" و هي أدْنى التواقيع رتبةَ "[1] ،ومثالاً عن ذلك تصدير "أنشأَه القلقشندي للشّيخ شهاب الدّين " أحمد الأنصاري" الشهير ب " الشّاب التّائب" بالجامع الأزهر"[2], و هناك تصديرٌ آخر أنشأَه أبُو العباس القلقشندي لقاضِي القضاة" بدر الدّين محمد" ابن قاضي القضاة بهاء الدّين أبي البقاء، وَوَلدهِ جلال الدّين محمد"[3]، وغيرها من التّصادير.

- الاطلاقات:

جمع إطلاق وهو "ما يُخصِّصهُ المَلك أوْ السُّلطان، من مالٍ أوْ أرزاقٍ لمجموعة من النّاس، أو لشخص بعينه، إمَّا تقريراً لماَ قرَّر غيرهُ من الملوكِ السّابِقة، و إمّا ابتداء لتقرير مَا لمْ يكنْ مقرراً قبلْ، وإمّا زيّادة على ماَ هو مُقرّر"[4]، وهي على طرفين: "الأوّل، ما يُكتب عن الأبواب السُلطانية، و الثّاني: ما يُكتب عن النوّاب، فأمّا الطّرف الأوّل فهو على ثلاث مراتب، المرتبة الأولى: ما يُكتب في قطعِ الثّلث مفتّحاً بالحمدُ لله، و هو أعْلاهَا، و مثال ذلك ماَ أورده القلقشندي من نسخةُ عن إنشاء المقرّ الشهابي بن فضل الله، باستمرار ما أطلقهُ السّلطان صلاح الدِّين بن أيوب بالدِّيارِ المصريّة"[5].

والمرتّبةُ الثّانية: ما يفتتح ب "أمّا بعد حمد الله" و يَكنْ إمّا في قطعِ الثُّلثِ أو في العادة المنصوري، و المرتَّبة الثّالثة في ما يفتتح ب" رسم بالأمر الشريف" ويُكتبُ في قطعِ العادة"[6] ، و قد كتبَ القلقشندي في هذه الرُّتْبة من الاطلاقات، و أنشأ إطلاقا لشرف الدِّين قاسم

1 القلقشندي، صبح الأعشى، ج11، ص 251.
2 أحمد عبد الرحمن الذنيبات، أبو العباس القلقشندي أديبا، ص 152.
3 المرجع السابق، ج 12، ص 71.
4 المرجع نفسه ،ج13، ص41.
5 المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
6 المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

بمرتب على الفرنج القادمين لزيّارة القدس"[1]، و هناكَ إطلاق آخر أنشأه "القلقشندي باسم بهاء الدِّين على الفرنجْ الواردين إلى ثغر الرملة المحروس"[2] ، وغيره من الاطلاقات.

- التّفاويض:

التّفاويض، جمع تفويض: وهو مصدرُ فوّضَ الأمر إلى زيدٍ، إذا ردّهُ إليه"[3]، ومنه قوله تعالى" و أفوض أمري إلى الله" [4]، أي ردّهُ إليه. فالتّفاويض تقعُ بين مرتبة التقاليد ،التّي هي أعلى منها ، بين التواقيع التي هي اقلّ منهاَ، و إنْ كانت تشتركُ مع الصنفين في الأسلوب والتّرتيب، و لعلَّ الاختلاف يكون في بعض العبارات و أحياناً في وظيفة من يَكتب له الكتّاب و مثالاً عن ذلك للقلقشندي تفويضُ ، أنشأه لقاضي قُضاة، جمال الدِّين يوسف البساطِي بقضاء المالكيَّة بالدِّيار المصرية"[5].

- المربّعات الجيشيّة:

هي اسم يُطلق على " المُكاتبات التّي تُكتب بالإقطاعاتِ، و تصْدرُ منْ ديوان الجيش إلى ديوان الإنشاء لتخرج المناشير على نظيرهاَ"[6].

فالمُربّعات تختصُّ بالقطاعاتِ هو ديوان الجيش، لا ديوان الإنشاء، و ما يكتب فيه من ديوان الإنشاء، هو فرع مما يكتب من ديوان الجيش، فإنّ مظنّة الإقطاعات هو ديوان الجيش ،لا ديوان الإنشاء و ما يكتب فيه من ديوان الإنشاء، هو فرع ممَّا يكتب من ديوان الجيش"[7]،

---

1 القلقشندي، صبح الأعشى، ج13، ص46.

2 المرجع نفسه ، ص48.

3 المرجع نفسه، ج11، ص112.

4 القرآن الكريم، سورة غافر، الآية 44.

5 المرجع السابق، ص113.

6 المرجع نفسه ،ج6، ص201.

7المرجع نفسه، ج13، ص153.

فإذا عُيِّنَ ناظر الجيش المثال، أو القصّة أو الإشهادِ على أحد من كُتّاب ديوان الجيشِ، فإنَّ هذا الكِتَاب يحتفظُ بذلك عندهُ، ثمّ يُجَهِّزُ لذلك مربعةً من ديوانِ الجيشِ و ترسُّل لديوانِ الإنشاءِ، حيث يعينها كاتبُ السرِّ على من يكتب بها منشوراً"[1].

يتَّصف هذا النّوع من المكاتبات الدّيوانية بعدَّة صفات أهمُّها أنَّها تتَّسم بالإيجاز والاختصار مع سهولتها لتأدية الغرض، وكما تخلو من الخطب و الأدعية و الوصايا.

الكاتب الذّي يَكتبُ التَّذاكر والدّفاتر المضمّنة لمُتعلِّقات الدِّيوان يَلزمهُ من مُتعلِّقات الدِّيوان عِدّة أُمور: "أنْ يضع في الدِّيوان تذاكر تشتمل على مُهمَّات الأُمور التّي تنهى في ضمن الكتب، ويظنُّ أنَّه رُبّما سُئِل عنهاَ أوْ اُحتيِج إليها، فيكون استخراجها من هذه التَّذاكر أيسر من التّنْقيب عليها كما يجب أنْ تُسلَّم إليه جميع الكُتب الوارِدة بعد أن يكتُب بالإجابة عنها ليتأمّلها وينقل منها في تذاكره ما يحتاج إليه، وإنْ كان قد اُجيب عنه بشيء نقله، ويجعل لِكُلِّ صفقة أوراقًا من هذه التّذاكر على حِدّة، تكون على رؤوس الأوراق علامات باسم تلك الصّفقة أو الجهة، ويكتب على هذه الصّفقة فصل من كتاب فلان الوالي، أو المشارف، أو العامل ورد بتاريخ كذا – مضمونه كذا، إلى أن تفرغ السّنة يستجدّ للسّنة الأخرى التّي تتلوها تذكرة أخرى"[2]، و كذلك يجعل له تذكرة "ويُسطّر فيها مُهِمّات ما تخرج به الأوامر في الكُتب الصّادرة لئلا تُغفل ولا يُجاب عنها، وإذا ورد عليه جواب عن شيء مُهمّ نزل عنده يقول ورد جوابه عن هذا الفصل بتاريخ كذا يتضمن كذا"[3]، فإنّه إذا اعتمد هذا وجد السُّلطان جميع ما يُسأل عنه حاضرًا في وقته غير مُتعذِّر عليه. "وكذلك أنْ يضع في الدّيوان دفترًا بألقاب الوُلاّة وغيرهم من ذوي الخدم، وأسمائهم وترتيب مُخاطباتهم، وتحت كُلّ اسم كُلّ واحد منهم كيف يخاطب، ومقدار الدّعاء الذّي يُدعى له به في السجِّلات و المُكاتبات والمناشير

1القلقشندي، صبح الأعشى، ج13، ص154.

2 المرجع نفسه، ج1 ، ص133.

3 المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

،والتّوقيعات"[1]، وكذلك يضع فيه ألقاب "المُلوك الأباعِد والمُكاتبين من الآفاق وكُتّابهم وأسمائهم، وترتيب الدُّعاء لهم، ومقداره. ويكون هذا الدّفتر حاضرًا لدى كُتّاب الإنشاء ينقلون منه في المكاتبات ما يحتاجون إليه، لأنّه رُبّما تعذّر حِفظ ذلك عليهم"[2]، ومتى تغيّر شيء منه كتبه تحته، ويكون لكُلّ خدمة ورقة مُفردة فيها اسم مُتولّيها. ورسالة القاضي الفاضل عن السُّلطان "صلاح الدّين يوسف بن أيُّوب إلى المنصور يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن: أحد خلفائهم في سنة خمس وثمانين وخمسمائة، يستجيشه على الروم الفرنج القاصدين بلاد الشّام والدِيّار المصرية، وهو: فتح الله بحضرة سيّدنا أمير المؤمنين، وسّيد العالمين، وقسيم الدُّنيا والدّين، أبواب الميامين وأسباب المحاسن..."[3] وينتمي للضّرب الأوّل أنواع عديدة مثل: البيعات والعهود والأخبار والتّقاليد والتّصادير والإطلاقات والتّفاويض والمُربّعات الجيشِيّة...أماّ الضّرب الثّاني فهو على قسمين: الأوّل يختصّ بما يكتب إلى ملوك وأكابر الدُّول الإسلامية الأخرى، والثّاني بما يكتب به إلى ملوك الكُفر في الابتداء والأجوبة.

تطرّقت الرّسائل الدّيوانِية إلى موضوعات عديدة ومُتنوّعة فكان منها رسائل الجهاد، وكان منها أيضا التّي ذكرت الفِتن والاضطرابات الدّاخلية التّي شهدتها الدّولة الإسلامية بعد التشتُّت والتمزُّق الذّي أصابها، كما كانت مُبايعة الخُلفاء من الموضوعات التّي تناولتها الرّسائل الدّيوانية

تعتبرُ الرّسالة منْ أهمِّ الوسائلِ الضَرورِيةُ لتلبيةِ حاجيات الإنسان ونظراً لأهمِّيتها نجدُ جلَّ النقادِ والباحثينَ اهتموا بأمرهاَ ومنْ بينِ هؤلاء نجد القلقشندي صاحبُ كتَابِ صبح الأعشى أنَّه قدْ أشارَ إلى أنواع الرَّسائل من بينها:

1 القلقشندي، صبح الأعشى،ج1 ، ص134.

2 المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

3 المرجع نفسه، ج8، ص113-116.

- الرّسائل الملوكية:

وتنقسم هذه الرّسائل بدورهَا إلى قسمين، فالقسمُ الأوّل يتمثّل في رسائلِ الغَزْوِ: وهي أعقلهاَ وأجلُّها ومثال ذلك نجد رسالة القاضي محي الدِّين بن عبد الطاهر لقيسارية من بلاد الروم، واقتلاعها من أيدي التتّار واستيلاءه على ملكها، كَتبَ إلى الصاحب بهاء الدِّين بنْ حناَ وزير السّلطان الملك الظاهر لمعْرفةِ ما يجري في تلك الغَزْوَةُ"[1] .

أمَّا القسمُ الثَّاني من " رسائل المُلوكِيةُ نجد رسائل الصّيد ونجد في ذلك نسخة رسالة في صيد السّلطان الشّهيد، الملك الناصر بن الشهيد الملك المنصور قلاوُون"[2].

وأمَّا الصّنفُ الثَّاني من الرَّسائل نجدُ الرّسائل ما يردُ منهاَ موردُ المدحِ والتَّقريضْ: وذلك إمَّا بأنْ يجعلَ المدح مورد الرّسالة ويُصدَّر بمدحِ ذلك الشخص المُراد وإمَّا بأنْ يُصدَّر بماجرية يحْكيهَا المنشئ ويتخلَّص منهاَ إلى مدحِ منْ يقصدُ مدحه وتعريضه وما يجري ذلك ، نجد رسالة أنشأها الجَاحِظُ وقد سَمّاهَا رسالة الشكر فقط بها تقريض وزير المتوكَّل وشكر نعمه لديه مصدراً لها بذكر حقيقة الشكر وبيانِ مقاصدهِ، ورسالة أخرى أُطْلِقَ عليها اسم الإغْريضِيَةَ، أرْسَلهاَ أبُو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان المعرِّي التّنوخي إلى القاسم الحسين بن علي المغربي ورسالة أخرى للشَّيخِ الإمام العالم معين الدِّين تاج العلماء، الصدر أبي الفضل يحي بن جعفر بن الحسين بن محمد الحصكفي وأطلق عليها رسالة عتاب الكُتَّاب، وعقاب الألف المشتّملة غلى أصُولِ الغريبِ والإغرابِ»[3].

أمَّا الصِنْفُ الثَّالث من الرّسائل نجد رسائل الُمفَاخَرَاتْ: والتّي تشتمل على عدَّة أنواع منها:

1 القلقشندي، صبح الأعشى، ج14، ص139.

2 المرجع نفسه، ص139-171.

3 المرجع نفسه، ص172.

المُفاخرة بين العلوم:

ونجد ذلك في رسالة المفاخرة بين العلوم أنشأها قاضِي القُضَاة جلال الدِّين عبد الرّحمن ابن شيخ الإسلام، بقيَّة المُجْتَهِدينَ، أبي حفص عمر البلقيني الكناني، الشّافعي وذكر في رسالته العديد من العلوم وابتداءها من قلم اللّغة وختامها بفنّ التّاريخ، ذاكراً فضل كلّ علم على الذِّي قبله مُحتجّاً عليه بفضائل موجودة فيه دون الآخر وجعله مصبُّ القوَّة فيها على اشْتمالهَا على جميعها، والإحاطة بكلِّهاَ، مع الإشارةِ بفضْلِ والده، شيخ الإسلام ومُسَاهَمتَهِ له في الفضلِ»[1].

المفاخرة بين السّيف و القلم:

وقد أكثر النّاس منها ونجد ذلك رسالة من هذا "النّوع من المفاخرة أنشأها للمقرِّ الزينِي أبي يزيد الدُوادَارْ الظاهري وأُطْلِقَ عليها تسميَّة بحِليَّةَ الفَضْلِ وزينة في المُفاخرة بين السّيف والقلم"[2]، ويُعدّ ابن برد "الأصغر بالأندلس كَتبَ رسالةً إلى مجاهد العُمري وقدَّمهَا على المُناظرةِ والمُفَاخَرَةِ بين السَّيف والقلم، وفي أحقِّية كلٌّ منهمَا بالسيادةِ والزَعَامَةِ"[3].

أمَّا الصِّنْفُ الرّابع من الرّسائل وهي: "الرّسائل الأسْئِلةِ والأجوبةِ: وهي على ضربين هما:الضَرْبُ الأوَّل: الأسئلة الإمتحانية: وقد جَرَتْ عَادَةُ مشايخِ الأدب وفُضَلاَءِ الكُتّاب أنّهم يَكْتُبُونَ إلى الأفاضلِ إمَّا لسَبيلِ الاستفهامْ واستماحة ما عند المكتوب إليه في ذلك، وإمَّا لسَبِيلِ الامْتِحانْ والتَّعْجِيز، ونجدُ في ذلك رسالة الشّيخِ جمال الدِّين بن نُبَاتَةَ المِصْري للشَّيخِ شهاب الدِّين محمود الحَلبِي صاحب ديوان الإنشاء بالمملكة الشّامية، وقد بلّغه أنّ بعض أهْلِ الدّيوان نال منه، وأنّ الشّيخ شهاب الدِّين المذكور ناضَلُ عنه ودافع فكَتبَ إليه

1 القلقشندي، صبح الأعشى، ج14، ص204.

2المرجع نفسه، ص 204-239.

3 فايز عبد النبي القيسي، أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس الهجري، ص206.

يشكرهُ على ذلك ويسألُ كُتّابُ الدّيوان عن أسئلة بعْضِهَا يرجع إلى صنعة الإنشاء وأكثرها يرجع إلى فنّ التّاريخِ"[1].

وأنْ يكونَ "الجوَابُ من الرّئيسِ إلى المرؤوسِ كما كَتبَ له الرّئيس إليه، فالذّي ذكره في مواد البيان أنّ للرّئيس أنْ يبني حِكَايةِ مَرْؤُوسهِ إليه في جوابه على الاختصار،ويجمع معانيه في ألفاظ وجيزةٍ، محيطةٍ بما وراءها كأنْ يقول: وصل كتابُك في معنى كذا وفهمناه وأنْ يكون الجوابُ من المَرْؤُوسِ إلى الرّئيس كما كَتبَ به الرّئيس قال في «مواد البيان» والواجب في هذه الحَالَةِ أنْ يَحْكِي فُصولَ كتَابِ رئيسه على نصّها ويقصّها على وجهِهَا من غير إخلال بشيء منها ,إعظاماً لقدر الرئيس وإجلالاً لخطابه"[2]، قال وليس للمجيب "إنْ مرّ في كتابِ الرَئيسِ بلفظةٍ واقعةٍ في غير مَوْضوعهاَ أنْ يبدلهاَ بغيرها:لما في ذلك من الإشارة إلى أنّ هذا أصحّ من كِتَابِ رئيسه في ألفاظه ومعانيه قال ولا يجوزُ الخُرُوجَ عن حكايةِ لفظ رئيسه في كتَابهِ بحال، اللّهُمَّ إلاّ أنْ يكون الكِتَابُ الوارد على المجيبِ في معنى الشُّكر والتّقريظِ من رئيسه له والثّناءِ عليه في قيامه بالخدمة، فإنّه لا يجوز أنْ يأتي به على نصّهِ لأنّه يُعبّر ذلك مادحاً نفسه، ومدح الإنسان نفسه غير سائغ، ولا يجوزُ أنْ يُهْملَ ذكره جملةً لأنّه يكون قد أخلَّ بمَا يجبُ من شكره له على تشريفِ رُتبته باحماده له والثّناء عليه، بل الواجبُ أنْ يوقع تلكَ الصّفة على جملة تَجعلُ نفسه بعضاً منها،مثل أنْ يقولَ: «فأمّا ما وصفهُ من اعتداده بخادمهِ في جملة من نَهضَ بحقوقِ خدمته،وقام بفرضِ طاعتهِ، فأَهّله لما يرفعُ الأقدار من إحماده وثنائهِ، ويُعْلِي الأخطار من شكره ودعائه» وما يُضَاهِي هذا من العبارة التّي تشتمل على معاني ألفاظ رئيسه، فإنّه إذا قصدَ هذا السبيل في حكاية كتَابِ رئيسه في هذا المعنى، فقد جمع بين البلاغة والإتيان على معاني ألفاظ رئيسه والأدب في ترك

1 فايز عبد النبي القيسي، أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس الهجري، ص240.

2 القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج6، ص326.

التّفخيمِ لنفسه بإضافته لها إلى جملة الخاصة دون إيقاع المدح عليها فقط"[1]، وأنْ يفتتح الجوابُ بما يفتّتح به الابتداء ثمّ يقع التّعرضُ بعد ذلك لوصول الكتَابِ والجوابِ عنه:إمّا ملاصقاً لأوّل الابتداء مثلما كَتبَ الصّابي: كتابي، ووصل كتَابُ مولاي وفهمته وحلّ عندي قدره وموقعه، وسكنت إلى ما دلّ عليه من سلامته، وسألت الله أن يسبغ عليه ظلها، ويمليه نعمه كلّها"[2].

والجواب "عنه إمّا بعد كلام طويل مثلَ ما كتَبَ الصّابي أيضاً عن نفسه إلى الصاحب ابن عبّاد: كتابي أطّال الله بقاء مولانا الصّاحب الجليل كافي الكفاة وليس من حارجة إلاّ ناطقةً...غلولاً واغتصابًا"[3]

وهناك رسائل " ما تُكتَبُ به الحوادث والماجرّيات: ويختلف الحَالُ فيها باختلاف الوقائعِ: فإذا وقعتْ للأديب ماجريةُ وأراد الكتابة بها إلى بعض إخوانه، حَكَى له تلك الماجريةُ في كِتابِه مع تنميق الكلام في ذلك،إمّا ابتداء وإمّا جوابًا، عند مصادفة ورود كتابه إذ ذاك إليه "[4]، وذلك في رسالة " الإمام قاضِي قُضَاة المسلمين محي الدِّين أبو الفضل يحي، بن قاضي القضاة الإمام محي الدِّين أبي المعالي محمد، بن علي، بن محمد، ابن الحسين، بن علي ،بن عبد العزيز، بن علي، بن محمد، ابن الحسين، بن علي القاسم، بن الوليد، بن القاسم ،بن عبد الرحمن، بن أبان، بن عثمان بن عفان رضي الله عنه، وتعرف هذه الرِّسالة برسالة النّمس»

1 القلقشندي، صبح الأعشى، ج6 ، ص326.

2 المرجع نفسه، ص135.

3 المرجع نفسه ،ج8، ص135.

4 المرجع نفسه، ج14، ص251.

خاتمة

بما أنّ لكُلّ بداية نهاية، فإنّه لابُدّ أن نضع نقطة الختام لهذا البحث الذّي كان موضوعه الرّسائل الأدبية و قوانينها في صبح الأعشى للقلقشندي، و من خلال هذه الدّراسة توصَّلنا إلى بعض الملاحظات و النتائج منها:

– أنّ القلقشندي يُمثّل أحد أعلام الفكر العربي الأصيل، ويتّضح ذلك جلِيًا في كتابه صبح الأعشى، الذّي يُمثل موسوعة عربية أدبية شملت جميع مناحي الحياة السيّاسية والتّاريخية و غيرها من الفنون، استفاد منها كبار العلماء و الباحثين على اختلاف مشاربهم الفكرية .

– اعتمد القلقشندي في جمع مادة موسوعته وتأليفها على عدّة مصادر منها: ذخيرة الكتاب لابن حاجب النّعمان– حسن التوسل في صناعة الترسل لشهاب الدين محمود الحلبي – المثل السائر لابن الأثير و غيرها من المصادر.

– يعتبر القلقشندي من المُؤرِّخين الذّين برزوا في العصر الوسيط بأعمالهم الجبّارة و الخالدة، والتّي تُمثّل لنا مصدرا هاما للوصول إلى أهمّ الأخبار في ذلك العصر .

– يُعدّ كتاب صبح الأعشى في صناعة الإنشاء من الكتب الجليلة القدر، العظيمة النّفع الكبيرة الفائدة، لم ينسج على منواله في التّأليف في فنون الأدب و الكتابة، فهو أنفس كتاب أُلِّف في اللّغة العربية و تاريخ آدابها .

– امتاز القلقشندي بالأمانة العلمية في كتابة موسوعته الخالدة صبح الأعشى في كتابة الانشا، إذ أنه أشار إلى جميع علماء و مؤرخي عصره عندما ينقل حادثة أو معلومة سواء كانت سياسية أو جغرافية أو تاريخية .

– إنّ مكانة القلقشندي العلمية و الأدبية و كثرة مُؤلّفاته المُختلفة جعلت منه اسما بارِزا ليس بمصر و الدّول الإسلامية فقط بل تعدّى ذلك العلماء الأوروبيون الذّين دهشوا بما كتبه وألّفه القلقشندي لاسيما موسوعته "صبح الأعشى".

– تطوّر أدب الرّسائل من حيث الموضوعات والأغراض، فقد تطوّر من النّاحية الفنيّة أيضا.

– اتّخذت الرّسائل في بنائها شكلا فنيًّا، فهي تبدأ بالبسملة والصّلاة على الرّسول الكريم، العنوان، الحمدلة، المضمون، الخاتمة.

– تختصّ الرّسائل الدّيوانية بأمور السيّاسة والحكم والسلطان.

– يُعتبر كتاب صبح الأعشى أضخم موسوعة وصلتنا في أدب الإنشاء و مراسلات الملوك ،وقد امتازت بدقّة التّنظيم وشيء من المنهجية العلميّة.

– تتمثّل الرّسائل الأدبية عند صبح الأعشى للقلقشندي في رسالة المفاخرة بين العلوم، فهي التّي كانت تعنى بالكتابة في موضوع مُحدّد.

– رتّب القلقشندي كتابه صبح الأعشى على مُقدِّمة وعشر مقالات وخاتمة، ويبدو الكاتب بأنّه ذو ثقافة عالية جِدًّا فقد أحسّ بما يلزم للكاتب من ثقافة عامة، فحاول أن يُقدّمها بكُلّ يُسر وسهولة.

– يُعتبر كتاب صبح الأعشى للقلقشندي سِجلّ أدبي جامع لأنواع الثّقافة الأدبيّة، وقد ضمّ ما تفرّق من معلومات منثورة في عِدّة كُتب قيِّمة معروفة في عهده.

– لما كانت صداقاته مُتنوّعة مع مرؤوسه ورؤسائه و أصدقائه، فقد كتب الرّسائل الإخوانية ، فهي تعتبر تلك الرّسائل التّي تُصوّر عواطف الكُتّاب، انفعالاتهم و مشاعرهم الخاصة من المدح والإخاء و الاعتذار والاستعطاف وغيرها من الأمور .

– من عوامل تطوّر ونشأة الرّسائل: رعاية السلاطين للعلماء، وانتشار المدارس والمساجد ، وهناك عامل آخر كان له الأثر ساهم في ظهور هذه الأعمال الأدبية، وهو ديوان الإنشاء الذي بلغ أوجّ ازدهاره في هذه الفترة، حيث كان يُمثّل أرشيفا لكثر من المواد التي يحتاجها

الكاتب، و لما كان أبو العباس القلقشندي، أحد كتاب الإنشاء فيه فقد أفاد منه إفادة جلية فيما كتب من مؤلفات .

– كانت لغة القلقشندي سهلة الفهم بعيدة عن الغريب، ولاتكاد تخلو رسالة من رسائله الديوانية أو الإخوانية من السجع.

قائمة المصادر

والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

1- القرآن الكريم:

1- **الكتب:**

2- ابراهيم، مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط4، 1425هـ 2004م.

3- ابن الأثير،ضياء الدين نصر الله بن محمد بن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر، تح: أحمد الحوفي و بدوي طبانة، ط2، طباعة دار النهضة، القاهرة، 1959م.

4- باشا، عمر موسى، تاريخ الأدب العربي(العصر المملوكي)، دار الفكر، ط1، دمشق، 1989 م.

5- برانس، جيرالد، قاموس السرديات، تر: السيد إمام ، ط1، ميريت للنشر و المعلومات، ط1، القاهرة، 2003 م.

6- التنوخي، محمد، المعجم المفصل في الأدب، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1993م.

7- توات، طاهر محمد، أدب الرسائل في المغرب العربي في القرنين السابع و الثامن، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983م.

8- حاجي، خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب و الفنون، مج2، دار إحياء التراث العربي، بيروت، دت.

9- خليف، مي يوسف، النثر العربي بين صدر الإسلام والعصر الأموي، دار إحياء الكتب للطباعة و النش، مصر، د.ت.

10- داعوق، سعد آمال، فن المراسلة عند مي زيادة، دار الآفاق المصرية الجديدة، ط1، بيروت، 1972م.
11- الدروبي، محمد محمود، الرسائل الفنية في العصر العباسي حتى نهاية القرن الثالث الهجري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، عمان، 1999م.
12- بن رمضان، صالح، الرسائل الأدبية ودورها في تطوير النثر العربي القديم(مشروع قراءة شعرية)، دار الفارابي، ط2، تونس، 2007م.
13- الزركلي، خير الدين، الأعلام(قاموس التراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والستشرقين)، دار العلم للملايين، ط15، بيروت، 2002م.
14- الزمخشري، أساس البلاغة، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1419هـ_1998م.
15- زيدان، جورجي، تاريخ آداب اللغة العربية، مطبعة دار الهلال، مصر، 1930م.
16- سالم الشريف، العربي، دراسات في الأدب الأندلسي، دار شموع الثّقافة للطّباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2003م.
17- سلام، محمد زغلول، الأدب في العصر المملوكي، منشأة المعارف، الإسكندرية، د.ت.
18- السيوفى، مصطفى، تاريخ الأدب في العصر العباسي، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية، ط1، القاهرة، 2008م.
19- ضيف، شوقي، العصر الجاهلي، دار المعارف، ط11، القاهرة، د.ت.
20- ضيف، شوقي، الفن ومذاهبه في النثر العربي، مكتبة مصر، مصر، د.ت.
21- عبد اللطيف حمزة، القلقشندي في كتابه صبح الأعشى عرض وتحليل، المؤسسة المصرية العامة للطباعة والنشر، ط1، مصر، 1961م.
22- عتيق، عبد العزيز، الأدب العربي في الأندلس،دار النّهضة، بيروت، 1976م.

23- عتيق، عبد العزيز، في النّقد الأدبي عند العرب، دار النّهضة العربية للطّباعة والنّشر، ط2، بيروت، 1972-1991م.
24- عروة، عمر، النثر الفني أبرز فنونه وأعلامه، دار القصبة للنشر، الجزائر، د.ت.
25- العسكري، أبو هلال، الصناعتين، تح: علي محمد البجاوي وأبو الفضل إبراهيم، المجمع الثقافي، الإمارات العربية المتّحدة، 2003م.
26- عيد ، يوسف، دفاتر أندلسية ،مؤسسة الناشرون، ط1، طرابلس، 2006م.
27- عيسى، فوزي سعد، الترسل في القرن الثالث هجري، دار المعرفة الجامعة، الإسكندرية، 1991م.
28- غالب، حسين، بيان العرب الجديد، دار الكتب اللبناني ، ط1، بيروت، 1971م.
29- الفاخوري، حنا، الجامع في تاريخ الأدب العربي(الأدب القديم)، دار الجيل ط1، بيروت، 1986م.
30- فروخ، عمر، تاريخ الأدب العربي، دار العلم للملايين، ط2، بيروت، 2006م.
31- الفقي، محمد كامل، الأدب في العصر المملوكي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1976م.
32- الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، دار الفكر، ط1، بيروت، 1424هـ- 2003 م.
33- القزويني، ابن ماجه، سنن، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، ط5، 1420هـ-1999م
34- قط، مصطفى البشير، مفهوم النثر الفني وأجناسه في النقد العربي القديم، دار اليازوري، سلطنة عمان،200 9م.
35- القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، دار الكتب السلطانية، المطبعة الأميرية، 1338هـ-1919م.

36- القلقشندي، صبح الأعشى، شرح: محمد حسين الدين، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1407هـ- 1989 م.
37- القيسي، فايز عبد النبي، أدب الرسائل في الأندلس، دار البشير للنشر و التوزيع، ط1، 1989م.
38- مجموعة من الأساتذة، مفهوم النثر الفني وأجناسه في النقد العربي القديم، تر: طاهر حجار، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، 1985م.
39- مجموعة من العلماء والباحثين، الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، ط2، د.ت .
40- مصطفى إبراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط4، 1425هـ- 2004م.
41- ابن منظور، الافريقي، لسان العرب، دار صادر، ط3، بيروت، 1414م.
42- نخبة من الأساتذة، الأدب والأنواع الأدبية، تر: طاهر حجار، طلاس للدراسات و الترجمة و النشر، ط1، دمشق، 1985 م.
43- نصار، حسين، نشأة الكتابة الفنية في الأدب العربي، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، القاهرة، 2002م.
44- ابن وهب الكاتب، البرهان في وجوه البيان، تح: حفني محمد شرف، مكتبة الشباب، ط1، 1969م
45- اليازجي كمال، الأساليب الأدبية في النثر العربي القديم، دار الجليل، ط1 1986م.
46- الجوهري أحمد بن عبد العزيز، معجم الصحاح، تح: أحمد عبد الغفور عطار، مطبعة بولاق، ط2، مصر، 1957م.
47- الرازي، عبد القادر الحفني، مختار الصحاح، الدار النّموذجية، ط5، بيروت، 1420هـ-1999م.

48- الزبيدي، مرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس، تح: نواف الجراح، دار الأبحاث، ط1، 2001م.
49- القيسي، خليل جليل بخيت، الحرف والصناعات المحلية في المغرب والأندلس من خلال كتاب صبح الأعشى للقلقشندي، مجلة الدّراسات في التّاريخ والأثر، ع61، قسم ابن رشد، كلية التّاريخ، جامعة بغداد، 2017م.

2- المجلات و الدوريات :

50- بن غوتى خيرة وعبد اللاوي فتيحة، فن الترسل في العهد الرستمي، مذكرة ماجستير، كلية الآداب و اللغات، جامعة تلمسان، 2013- 2014م.

3- الرسائل الجامعية:

51- بوصوري، ناصر، فن الترسل في العهد الرستمي- مقاربة أسلوبية، رسالة ماجستير، جامعة ورقلة، 2007م.
52- بومريفق حكيمة و بوراس سهير، أدوات الكتابة من خلال صبح الأعشى، رسالة ماستر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد بوضياف، مسيلة، 2016- 2017 م.
53- الحلبوني خالد، الرسائل النثرية الشخصية في العصر العباسي، رسالة ماستر، جامعة دمشق، 2006م.
54- الذنيبات، عبد الرحمن، أبو العباس القلقشندي أديبا، رسالة ماجستير، جامعة مؤته، السعودية، 2001م.
55- فخري رشا، الرسائل في العصر المملوكي- دراسة تحليلية، رسالة ماجستير، الجامعة الاسلامية-غزة، 2013-2014م.
56- لعالي عانية ، النثر في العصر الأموي، رسالة ماجستير، جامعة وهران، 2015م.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
شكر	
إهداء	
مقدمة	04-02
مدخل: التّعريف بالمؤلّف والكتاب	14-06
1- التعريف بالمؤلّف	06
2- التّعريف بالكتاب	09-07
3- خطبة الكتاب	10-09
4-قيمة الكتاب	14-11
الفصل الأول: الرسائل الأدبية وخصائصها الفنيّة في كتاب "صبح الأعشى"	45-16
1- مفهوم الرّسائل	20-16
2- أنواع الرّسائل	23-20
3- نشأتها وتطوّرها	30-23
4- ما يشترطه في الكاتب	37-31
5- عناصر الرسالة الأدبية و شروطها	45-37
الفصل الثاني:أدب الرّسائل في كتاب "صبح الأعشى"	81-47
1- الرسائل الاخوانية	63-47
2-الرسائل الديوانية	77-63
-الرسائل الملوكية	81-77
الخاتمة	84-82
قائمة المصادر والمراجع	91-86
الفهرس	93